

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190601

UNIVERSAL
LIBRARY

مجنون لیلی

تألیف

احمد سوفي بك

الى صاحب السمو الملكي

الأمير فاروق ولي عهد الدولة المصرية.

فاروق يا ابنَ حَيَّرِ أَبْ
أَهْدَى السَّكِّ وَالْمِ
وَمَنْ يَلَى حَيْلِكَ مِنْ
الكَافِلِينَ السَّالِّ مِنْ
الطَّائِرِينَ كَالسَّو
الْمَالِثِينَ الْمُلُوكَ مِنْ
رَوَايَةٍ مِنْ خُلُفِي
بَيَانِهَا السَّهْلُ إِلَى
تَمَلُّقِ الدِّدِ عَلَى
وَلَحْجَةٍ مِنْ الْحِجَا
وِي حَاهِلِيَةٍ عَلَى
وَأَرْفَعَ اسْمِي فِي الْعَرَبِ
أَبْسَاءِ حَيْلِكَ الْبَحْثُ
نَسْرَةُ الْعَدِ الْقَطْنِ الْأَرَبِ
مَنْبَعُهُ إِلَى الْمَصَبِ
رَ لِدَائِرِينَ كَالشَّهْنِ
كَتَابٍ وَمِنْ كُتُبِ
مُهَدَّبٍ وَمِنْ أَدَبِ
مَدَائِعِ الْفُصْحَى سَبَبِ
عَهْدِ أَمِيَّةِ النُّجَبِ
رَ وَهُوَ فِي عَصْرِ الذَّهَبِ
نَظْمٍ مِنَ الْخُلُقِ عَجَبِ

(ب)

تَقْيِضُ مِنْ بُطُولَةٍ	وَمِنْ قَوَافٍ وَخُطَبٍ
أَلَسَّهَا « مُحَمَّدٌ »	ثَوْبَ الْحَصَارَةِ الْقَشِيبِ
أَصْلَحَ مِنْ بُيَانِهِمْ	وَشَدَّهْ مِنْ الطَّنْبِ
مَا كَانَ مِنْ حَيْرٍ بِهَا	أَقَامَ ، أَوْ شَرَّ ذَهَبٍ

مَوْنِي

مهرجيم

رمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

باديه نحد

أشخاص الرواية :

- | | | |
|---------|---|---------------------------------|
| قنس | — | مخنون ليلي |
| ليلي | | |
| المهدي | — | أوليلي |
| ورد | — | زوح ليلي |
| ابن عوف | — | أمير الصدقات في الحجار وعامل مز |
| | | عمال بني أمية |
| رياد | — | راوية قنس وصديقه |
| منارل | — | غريم قنس في حب ليلي |
| شمر | — | رحل من بني عامر |

(د)

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز

بصب — كاتب ابن عوف

سعد — رجل من بني عامر

الغريض — مغن مشهور

ابن سعيد — شاعر

أمية — رفيق ابن سعيد

الأموى — شيطان قيس

عصفوت

هبيد

شياطين

عسر

عاصف

بلهاء — حارية قيس

عمراء — حارية ليلى

سلمى

فنيات من بني عامر

هند

عبله

رجال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدي في حي بي عامر -- مجلس من مجالس
السمر في هذه الساحة -- فتية وفتيات من الحي يسمرون في أوائل
الليل ، وفي أيدي الفتيات صوف ومعازل يلهون بها وهم يتحدثون —
تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح »

ليلى . دعى الغزل سلمى وحيي معي

منار الحجاز فتى يثرِبُ (١)

« تصافحه سلمى »

ويا هِنْدُ هذا أديبُ الحِجَارِ

هَلْمِي مَـقْدَمِهِ رَحْبِي

« تصافحه همد ويحتق به السامرون »

سعد : أَمِنْ يَثْرِبُ أَنْتَ آتٍ ؟

ابن ذريح : من البلدِ القُدُسِ الطيّبِ أحل

ليلى : أيا بنَ ذريحٍ لقينا الغمام

وطافت بنا فحاتُ النبي

هند :

« عله — هامة الى سعد »

مَنْ ابْنُ ذَرِيحٍ ؟

فَتَى ذِكْرُهُ

سعد :

على مَشْرِقِ الشمسِ والمغربِ

رَضِيعُ الحُسَيْنِ عليه السلامُ

وتربُّ الحُسَيْنِ من المكتبِ

« عله — الى شر ومشيئة الى ابن ذريح »

أَتَسْمَعُ شَرُّ رَضِيعِ الحُسَيْنِ

فَدَيْتُ الرَضِيعَيْنِ والمُرْضِعَةَ

وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ

تصاممتَ !

« بشر -- هامةا ومبلمها كاتما يحشى أن يسمعه أحد »

لا حاهلاً مَوْضِعُهُ

ولكن أخاف أمراً أن يرى على التشبُّعِ أو يسمعه

أَحَبُّ الْحُسَيْنِ وَلَكِنَّا لَسَانِي عَلَيْهِ وَقَلْبِي مَعَهُ !
 حَبَسْتُ لِسَانِي عَنْ مَدْحِهِ حِذَارَ أُمِّيَّ أَنْ تَقْطَعَهُ
 إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ

وَرُمْتَ النِّجَاحَةَ فَكُنْ إِيَّاهُ !

ليلى : ابْنُ ذَرِيحٍ نَحْنُ فِي عَزْلَةٍ فَهَلْ عَلَى مُسْتَفْهِمٍ مِنْكَ بَاسٌ ؟
 دَارُ النَّبِيِّ كَيْفَ خَلَقَتْهَا ؟

كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَمْرَ فِيهَا يُسَاسُ
 ابْنُ ذَرِيحٍ : تَرَكْتُهَا يَا لَيْلَى مَضْوَطَّةً يَحْكُمُهَا وَالٍ شَدِيدُ الْمِرَاسِ
 إِنْ حَدِيثَ النَّاسِ فِي يَثْرِبِ

هَمْسٌ وَخَطْوُ النَّاسِ فِيهَا احْتِرَاسُ
 ليلى : ابْنُ ذَرِيحٍ لَا تَجْرُ وَاقْتَصِدْ أَحْلَامُ مَرْوَانَ جِبَالُ رَوَاسِ
 يُؤَسِّسُونَ الْمُلْكَ فِي بَيْتِهِمْ

وَالْعُنْفُ وَالشَّدَةُ عِنْدَ الْأَسَاسِ

« تَضَاحَكِ الْفَتَيَاتُ وَتَقُولُ احْدَاهُنَّ لِأُخْرَى »

فتاة : لَيْلَى عَلَى دِينَ قَيْسٍ فحَيْتُ مَالٌ تَمِيلُ ؟

وكلُّ ما سرَّ قيساً فعند ليلي جميلُ
 ابن ذريح: ما الذي أضحك مني الطِّبَّياتِ العامريةِ
 ألاّنى أنا شـيـعـى ولىلى أَمـوـية؟
 إختلافُ الرأى لا يُفسدُ للود قضيه
 ليلي: أعرنى سماعتك يا بنَ ذريحٍ ولا تسمعِ الطفلةَ الهاذيةَ
 أتيتَ لنا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالمَ الباديةِ
 أكنتَ من الدور أو فى القصور
 ترى هذه القُمةَ الصافية؟
 كأن النجومَ على صدرها
 قلائدُ ماسٍ على غانيه
 هند: كفى يائنة الخال! هذا الحريرُ
 كبيرٌ على الرمةِ الباليه
 تأملْ: تر البيدَ يا بنَ ذريحٍ
 كمقبرةٍ وحشةٍ خاويه
 سئمتنا من البيدِ يا بنَ ذريحٍ ومن هذه العيشة الجافية

ومن مُوقِدِ النَّارِ فِي مَوْضِعٍ

ومن حَالِ الشَّاةِ فِي بَاحِيَةٍ

وَرَاغِيَةً مِنْ وَرَاءِ الْخِيَامِ

تُحِبُّ مِنَ الْكَلَالِ الثَّاعِيَةَ (١)

وَأَتَمَّ بِيْثَرَ أَوْ بِالْعِرَاقِ أَوْ الشَّامِ فِي الْغُرْفِ الْعَالِيَةِ

مُغْنِيَكُمْو مَعْدَةً وَالْغَرِيضُ وَقَيْنُنَا الصَّبْعُ الْعَاوِيَةِ

وَقَدْ تَأْكُلُونَ فُنُونَ الطَّهَاءِ وَبِأَكْلِ مَا طَهَّتِ الْمَاشِيَةِ

إِلَى : قَدْ اعْتَسَفَتْ هِنْدُ يَا بَنَ ذَرِيحٍ

وَكَلَّتْ عَلَى مَهْدِهَا قَاسِيَةً

فَمَا الْبَيْدُ إِلَّا دِيَارُ الْكِرَامِ

وَمَنْزِلَةُ الدِّمِّ الْوَافِيَةِ

لَهَا قُبْلَةُ الشَّمْسِ عِنْدَ الزُّرُوعِ

وَالْحَضَرِ الْقُبْلَةُ الثَّانِيَةِ

وَنَحْنُ الرِّيحَانُ مِلْءُ الْفَضَاءِ وَهِنَّ الرِّيحَانُ فِي الْآنِيَةِ

(١) الرَّاعِيَةُ : الْبَاقِيَةُ وَالْثَّاعِيَةُ : الشَّاةُ

ويقتلنا العشق والحاضراتُ
ولم نصطدِّم بهوم الحياةِ
وآنا نحف لصيِّد الظباء
وآنا نحف لصيِّد الظباء
يَقْمَنُ من العشق في عافية
ولم نَدْرِ - لولا الهوى - ماهيه
وآنا الى الأسد الصارية

« همد - ساحرة »

وفي كل ناحية شاعرٌ
يغنى ليلاً أو راوية
« محاول ليلى أن تعد رحلها فتألم وتستعيت »

ليلى : قيسُ ، إلى قيس

هند : ما
دهاك ليلى ما الخضر

ليلى : أحس رحلى حدرت
حتى كأنها الحَجَرُ

هند : قد صحت قيسُ مرتين

ليلى : أو ثلاثاً ما الصرر

هند متهمكة : اسم الحبيبِ عندنا
نذكره عند الخدر (١)

ليلى : هند كفى دعابة
إن هو الا اسمٌ حصر

« لنفسها »

(١) حدرت الرجل : نمت

يا قيسُ ناجيَ باسمك القلبُ اللسانَ وعثرَ
 عبلة ضجرة : أما سوى هذا الحديثِ شاغلُ ؟
 كفِ ظلمتِ اليومَ يا منازلُ ؟

« منارل — صاحكا »

منازلُ اليومَ كأمسِ هازلُ شربُ أو يطعمُ أو يغازلُ !
 همد : بخ ! كذا فلتكن الحياةُ مُت يا بغيرُ واقُقى يا شاهُ
 أنعمست في الترفِ الرعاة !

ليلى : وكفِ ظلمتِ اليومَ سعدُ ؟ أهازلُ
 كبرك أم في صالحِ ورشادِ !
 سعد : بل الحدُّ ياليلي سبيلي وديدي

حياتي بوادٍ والمخوفُ بوادِ
 صعبُ زيادا طولِ يومى تلقفا
 لأشعارِ قيس من لسانِ رِيادِ
 وإنَّ رِيادا - منذ كان - لرائحُ

علينا بـتـ العامرئ وعاد

ولولا زيادُ ما تمثَّلَ حاصرُ بأشعارِ قيسٍ أو ترنمِ ناد

« يدعو على ليلِ شيءٍ من الرهو فتَهَامِسُ الفتياتِ »

سلمى : انطرى هند ترى ليلي اكست رهوا وكبرا

وتعالت كابسة النعمان أو كابسة كسرى !

هند : لِمَ لا سلمى ، أَلَمْ يَرَوْعَ لها المجنونُ ذكرا ؟

عملة : لِمَ إذن يا هندُ من قيسٍ ومما قالَ تبرا ؟

هند : عَبَثُ السَّوَةِ إِبَا نَحْنُ بالسَّوَةِ أدرى !

سلمى : سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات » سلوه

هند : سلى ياليلَ عن يومه بشرا

ليلي : وهل يومه الا ستوون كأَمْسِه من الصيد ؟

هند : إن الصيد كذته الكبرى

بشر : نعم هو ملهاى الذى لا أمله

ولا النفس تُعْطَى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصور أمية

لعلّمتُ فنَّ الصيد فتیانها الزهرا

وما أنا صيَّادُ الأرابِ مثلهم

ولكن على حياته ألجُ القفرا

ليلي : إذن هاتِ واصدُقْ بشرى القول مرّة

ولا تخترعْ أو تبَنِ من حَجَرٍ قصرا !

بشر : دعى عنك هذا السُخْرُ ياليلَ واسمعى

ليلي : تحدّثْ فلا والله لم أَصْمِرِ السُّخْرَا

بشر : نكّرتُ كدأبى اليومَ أبغى قنبصةً

ومَن يتصيدُ يحسبُ الغنمَ والخُسرا

(رأيت غزالا يرتعى وَسطَ روضة

فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهرا) (١)

» هند — مشيرة الى ليلي «

وأىَّ الليالى بشرُ آنست ؟ هذه

بشر : إذاشتت — أوهايتك — أو حرة أخرى

فقلتُ له ياظبي لا تخشَ حادثاً
 (فالك لي جارٌّ ولا ترهب الدهراً)
 (فما راعني الا وذئبٌ قد انتحى
 فأعلق في أحشائه النابَ والظفراً)
 (ففوقتُ سهمي في كتومٍ غمستها
 فخالط سهمي مهجة الذئبِ والنحرا)
 ليلي صاحكة : أخى بشرُ لاشلت يمينك من يدي
 ولا فضَّ فاك الصبحُ والليلُ ما كرا
 سمعنا بأقلامِ الاصوص وقتكم
 فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجراً !
 ووالله لم تعصب لطبي ولم تشب
 بذئ ولم تعمل خيلاً ولا فكراً
 أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بصاعةً
 سرقتَ لعمرى الطيِّ والذئبَ والشعرا !
 « ضحك من الجميع »

حديثُ الطَّبِيّ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
 زيادٌ عنه بآبى ولا ينبيك إلاه
 رأى قيسٌ على رايية ظيما فناداه
 فألقى الطَّبِيّ أذنيه ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنا تحدث نفسها »

بروحى قيسٍ ! هل راحت
 طباء القاع تهواه ؟
 وهل يرثى له الريمُ
 ولا أرثى لبلواه

« تسترسل في حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ تقايا صبغت فاه
 رأى في جيده قبسٌ وفى عييه ليلاه
 فينا هو فى الشوقِ وفى نشوة ذكراه
 حبا الذئبُ من الوادى الى الطَّبِيّ فأرداه
 تعدّى بحشا الطَّبِيّ غداة ما تهناه
 رماه قبسٌ فى المقتل بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعاً بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ سوى شيءٍ شهدناه
 وإن لم تدكرى القبرَ ولا كيفَ خططنا
 حفرنا القبرَ للظبيِّ وقمنا فدفناه
 وصلينا على الميتِ وبالدمعِ سقيناه
 فقولوا ولتقل ليلى معى يرحمه الله !

« أصوات - بين الصحك والسحرة »

أجل بشرُ !

أجلُ بترُ !

أجل يرحمه الله !

ابن دريغ: بترُ كفى هولا وتخليطاً كفى

ويا بنةَ العلمِ مصى الليلُ سدى

أرسلنى قيسُ فلو أخبرتني

متى متى بأمرِ قيسٍ يُعتنى ؟

بتنا نخافُ أن يجِلَّ خطبُهُ

وتبلغَ البلوى بـقيسٍ المدى

وقيسُ ياليلي وإن لم تجهلي زين الشباب وابنُ سيد الحمى
لم ندرِ في حيكِ أوى حيه فتى حكاه سبا ولا غنى
ولا حمالا، وهنا (ياليل) ما ترين أنت لا الذى نحن نرى

بشر ساخرا : بنح نخ ! ابن ذريح حاطب

ابن ذريح : أسك فلت للمروءات أها !

ليلى عاضبة : فيم هذا الكلامُ يا بن ذريح ؟

ابن ذريح : إتقى الله واقصدى فى التجنى

ليلى : ما تحنيت

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعي

أحس الذودَ عن صدبقى وخدنى

ليلى : أنا أولى به وأحنى عليه لو يدأوى برحمتى والتحنى

يعلم الله وحده ما لقيس

من هووى فى حوانحى مستكن

إنى فى الهوى وقيسا سـوا

ذن قيس من الصباة دنى

أنا بين اثنتين كلتاها النا ر فلا تلحنى ولكن أعنّى
بين حرصى على قداسة عرضى

واحتفاظى بمن أحبّ وصى
صنّت منذ الحداثة الحبّ جهدى

وهو مستهترّ الهوى لم يصنّى
قد تغنى بليّة العيل ، ماذا

كان بالغيل بين قبس وبينى ؟
كل ما بيننا سلامٌ وردّ بين عين من الرفاق وأذن
وتسمّت فى الطريق إليه ومضى تنانه وسرت لشانى

« تهيب بالسامريين وقد بلغ بها العضب أفصاه »

أوعل الليل فلنقمّ

ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليل)

خل عنيّ دعني !

ليلى :

« ندخل خبائها بينما يهص السامرون فلا يتناقل منهم فى القيام »

« الا مارل — الهرج والاسف يسودان الجميع »



قد تغى بليلة الغيل ماذا كان مالعل بن قيس وبني ؟
(صمحة ١٤)

بشر : انفضَّ ساءرُ ليلي وكان حَفْلاً كريماً
 سعد : قد فَضَّه ابنُ ذريح ففض عِقْدُ ——— دَانظِماً
 أنارلي ——— لى فهاحت كما تنفّر رِيماً ———
 تُرى أَتُبْغِضُ قيساً ———

ابن ذريح : لا تَقْلِبُوا الحَبَّ نغضاً
 ليلي العشةَ عصبي وَيُصْبِحُ الصَّبْحُ تَرْضَى
 سعد : أَنعم (مُنْأَزِر) مساءً
 منازل : نُعِمْتَ سَعْدُ مساءً
 هند : بشرُ مُسَيِّتَ بحير
 بشر : أَعْمَى هِنْدُ مساءً
 هند . نحن يحوينَا طريقُ فامضِ بَلْغَى الحَبَاءِ
 سعد — صاحبكا

احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أَخْشَى اعتداءً
 قد عرفتم وعرفه كيف يسطاد الأطباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظمر »

« قيس وزباد من جاب المسرح الآخر »

قيس . سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى

وما البیدُ الا اللیلُ والشعرُ والحبُّ

ملأتَ سماءَ البیدِ عشقا وأرضها

وحملتُ وحدي ذلكَ العشقَ یاربُ

ألمَّ على آیاتِ لیلی بی الهوى

وما غیرَ أشواقی دلیلٌ ولا رکتُ

ونات خيامی خطوةً من خيامها

فلم یشفنی منها جوار ولا قرب

إذا طاف قلبی حولها جنُّ شوقه

كذلك یطغی الغلة المنهلُ العذب

یحن اذا شطت ویصبو اذا دنت

فیاویح قلبی كم یحن وكم یصبو

وأرسلنی أهلی وقالوا امض فالتمس

لنا قنسا من أهل لیلی وما شبوا

عفا الله عن ليلى لقد نوتُ بالذى
تحمّل من ليلى ومن نارها القلب

« منارل — وقد سمع هممة الصوت ورأى شبحيهما في الطلام »

أرى شبحاً مقبلاً في الطلام	وأسمع هممة في الدحي
هو ابن الملوّح دل الهزال	عليه وممّ اضطراب الخطأ
عدوى البين وما بننا	ولا بين صاعيتننا ^(١) حفا
روى شعره البدو والخاصرون	وشعري لبس له من روى
وهام بليلى وهامت به	لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظماً في البلاد	وجنّ فما ارداد الأهمى
وإني لأبدي السه الوداد	وأخفى له في الصلوع القلى
وأحسده حسداً ما علمت	أقنسُ الشوى به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

من الراكب الليل ؟ قيسٌ أخى ؟

قيس . منازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

منازل : أقيساً أرى في طلال البيوت ؟

وعهدى بقبس حليف الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتع المستهى

قس - حنقا : أمن عند ليلي نحرُ الذبول

حديث لعمرُ أنى مفــــــــــــى نرى

منازل : بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوّح

قيس : إحسأ متى قلت صدفا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

منازل - ساخرا : ما يصنعون لهوت لعمرى فيمن لها

وسامر ليلي كثير الزّحام فليست تعدُّ شتاب الحمى

وليلي تفيضُ على من تشاء رصاها ومحرمه من تسا

رياد مغضبا: منازل ، قسُ ، سبيك قيس !

وكلُّ لى تأديبَ هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بلابيه »

تؤدبني زيادُ وأنت طل لحنون وراوية لهادى

وَتُرْعَمُ أَنَّى نَدُّ لَقَيْسٍ

رَضِيتَ مِنَ الْمَصَائِبِ غَيْرَ هَذِي !

زياد : مَنْ قَالَ ذَا ؟ أَنْتَ لَقَيْسٍ نَدُّ

لَمْ يَبْقَ فَيْكَ يَا حِيَامَةَ حَدُّ

إِمَضْ بِنَا نَاحِيَةً يَا وَغْد !

« يَجْرُهُ إِلَى حَيْثُ تَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمَا مِنْ بَعِيدٍ ثُمَّ تَحْتَفِي »

« فَيَقْدِلُ قَيْسٌ عَلَى حِمَاءِ لَيْلَى وَيَادِي »

قَيْسٌ : لَيْلَى !

« الْمَهْدَى : حَارِحًا مِنَ الْخِمَاءِ »

مِنْ الْهَاتِفِ الدَّاعِي ؟ أَقَيْسَ أَرَى ؟

مَاذَا وَقُوفُكَ وَالْفَتَيَانِ قَدْ سَارُوا

قَيْسٌ خَجَلًا : مَا كُنْتُ يَاعُمُّ فِيهِمْ

الْمَهْدَى : دَهْشًا : أَيْنَ كُنْتَ إِذْنُ ؟

قَيْسٌ : فِي الدَّارِ حَتَّى خَلْتُ مِنْ نَارِنَا الدَّارِ

مَا كَانَ مِنْ حَطَبٍ جَزَلٍ بِسَاحَتِهَا

أَوْدَى الرِّيحُ بِهِ وَالضَّيْفُ وَالْجَارُ

المهدى مناديا : ليلي - انتظر قيس - ليلي

« ليلي - من أقصى الجباء »

ما وراء أبي ؟

المهدى : هذا ابن عمك ما في بيتهم نار

« تطهر ليلي على باب الخباء »

ليلى : قيس ابن عمي عندنا يا مرجبا يا مرجبا
قيس . مُتَّعَ ليلي بالحياة وبلغت الأربا

« ليلي : نادى حاريتها بينما يخفى ابوها في الخباء »

غفراء

« عمراء مليية بداء مولاتها : »

مولاتي

ليلى : تعالني تقض حقا وجبا

خذي وعاء واملئي به لابن عمي حطبا

« تخرج عمراء وتنسها ليل »

قيس : بالروح ليلى قضت لى حاجة عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجات

مصت لأبياتها ترتاد لى قبسا

والنار يارُوحَ قيسٍ ملء ابياتي

كم جئتُ ليلي بأسباب مملقة

ما كان أكثر اسبابي وعلاقي

« تدحل ليلي »

ليلى : قيس

قيس : ليلي بجاني كل شيء إذن حضر

يلي : جمعتنا فأحسنف ساءة تفضل العمر

ليس : أتجددين؟

يلي : ما فـوا دى حديد ولا حجر

لك قلب فسله يا قـد س ينبئك بالخبر

قد تحملت في الهوى فوق ما يحمل البشر

قيس : لستُ لـيلى داريا كيف أشكو وأنفجر ؟
 أشرح الشوقَ كله أم من الشوق اختصر ؟
 نبئى قيس ما الذى لك فى البيد من وطر ؟
 لك فيها قصائدُ جاوزتها الى الحضرة
 كلُّ ظبيٍ لقيته صُغت فى جيده الدرر
 أترى قد سلوتنـا وعشتَ المها الأخر ؟
 قيس : غرتِ لىلى من المها والمها منك لم تغر
 حببَ البيدَ أنهما بكِ مصبوغةُ الصُور
 لستِ كالغيدِ لاولا قر البـيد كالقمر

« لىلى : وقد رأيت النار تكاد تصل الى كم قيس : »

ويحَ عيـنىَّ ما أرى قيس !

قيس : لىلى

خذ الحذر !

« لىلى : مشفقة » :

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجرٍ سألتُهُ هل تنفست في السحر
ورِياحٍ حسبتمُها حرَّرتِ ذيلَكَ العطرِ
وغزالٍ جفَّوْنُهُ سرقت عينَكَ الحورِ
ليلى : اطرح النارَ يافتي انت عادٍ على خطرِ
لهبُ النارِ قيسُ في كلك الأيمن اتشر

« قيس : مستمر بعد أن رمى النار من يديه : »

وذئابٍ أرقَّ ياليلَ من أهلك الغـيُ
أنستُ بي ومرغت في يدي الناب والظفرُ
ليلى : ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شـ... عـرَ
قيس : انت أجبت في الحشا لاعج الشوق فاستعزُ
ثم تخشينَ حمرة تاكلُ الجلد والشعرَ

« يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الانغماء » :

ليلى : فدأك أبي قيس، ماذا دهاك؟ تكلم، أبن قيس، ماذا تجد
قيس : أحسُّ بعيني قد غامتا وساقى لا تحمِلان الجسدُ

« يخرج صريعاً الى الأرض فتلقاه على صدرها صارخة »

ليلي : يا لأبي للجار قيسُ صريعُ النارِ مُلقىً بصحن الدارِ !

« يخرج أبوها من الحناء على صوت اسفائها »

أبي ها أنت ذا حثت أغننا أنت أدرك

لقد حرق بالمار فما يصحو إذا حرك

المهدي : يرانا الناسُ ياليلي

ليلي :

هنا لا تقع العينُ على عيرى ولا غيرك

ولا يطلعُ إنسانٌ على سرى ولا سرّك

ولا أجدرُ من قيس باشفاقك أو برك

أبي صدرى لا يقوى فأسندّه الى صدرك

« المهدي — وهو يلقى عنها حسد قيس ويحاول اعاشه »

رعاك الله ياليلي وكافاك على صبرك

أخافُ الناسَ فى أمرى واخشى القلبَ فى أمرك

وكم داريتُ ياليلي وكم مهدتُ من عذرك



أبي هات ذا حثث أغشنا أت أدرك

(صفحة ٢٥)

ولست الوالد القاسى ولا الطامع فى مهرك

« يباحى قبسا فى غيوسه »

أنا المهدى عوفيتَ ويا بورك فى عمـرك

أرانى تـشـعرك الويل وما أزوى سوى شعرك

كما لَدَّ على الكُره كلامُ الله للمُشرك !

« مشرك قيس ويدو عليه كأنما يهيق فيناده »

قبس

« ميس — محاول الوقوف فسنده ليلى »

لَسَّكَ عَمَّ

المهدى : حسبك فادهم لا تطأ لى بعد العتبة دارا

ليلى : أنتى لا تجزى على قدس

المهدى : لم لا إن قيسا على القرابه حارا

ليلى : أنى ما نراه كالهنن اذا

وى تحولا وكالمغيب اصفرارا ؟

وتأمل رداءه ويديه تحم النار أو تر الآثارا

أَبْقَى دَعَهُ يَسْتَرْخِ

المهدي : بل دعينا

لا نزيدى يا لبل سَخَطَى انفجارا

قيس : حسبُ يا ليلَ ، حسبُ دلا لعمى

وكفى حِلْفَةً لَهُ واعتذرًا

عمُ ماذا جنيت ؟

ليلى : ماذا جى قيس

المهدي : سِيتَ الرُّوَاةَ والأخْبَارا

فبِس : إِيْهِمْ يَا عَمَّ

المهدي : والغَيْلُ أَيْلًا غَشِيَتْهُ أُمُّ نَهَارًا ؟

ما الذى كان ليلة الغَيْلِ حَقِي

قلتَ فِيهَا النَّسِيبَ والأشْعَارا ؟

قيس : لم تكنْ وحدها ولا كنتُ وحدى

إنما نحنُ فِتْيَانَةٌ وَعَذَارَى

جَمَعْتَنَا حَمَائِلُ الغَيْلِ بالليلِ كما يَجْمَعُ الحُمَى السَّمَار

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين مجد ويثرب ، على مقربة من حى بنى عامر حيث ،
 « تندو مصارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل الوناد - قيس ورياد ،
 « جلوس الى حدع نخلة ، يستشرفان شجرا يسير نحوهما »

قيس : رباد ما نللك ؟ مَن الجَوَّيريه ؟

أتللك (بلهاء) ؟

رباد : أجل قيس همة

« تطهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

قيس : بلهاء كيف الحى ؟ كيف أميه ؟

« بلهاء - وهى تصع القصعة »

تسأل عنك كما سألته

« تندو على قيس كرامة للطعام وعزوف عنه »

زياد : بالله يا قيسُ إلا أكلت

« يشد ميل قيس عن الطعام »

بلهاء هامة لزياد : زيادُ ما داق قيسٌ ولا همَّ

زياد : طبخُ يدِ الأمُّ يا قيسُ دُقْ ممّا
الأمُّ يا قيسُ لا تطبخُ السّمّا

« نزع عن الفصعة عطاؤها »

تعالِ تاملْ قيسُ ، تلك ذبيحةُ

قيس : عسى اليومُ محرّ

رياد : أين نحنُ من الأضحى ؟

قيس : أرى صنْعَ أمي ياريادُ ، فدَيْتُها

روحى وإن حمّلتها الهمَّ والروحا

سبحرنا اللها.

رياد : لها ————— لاءِ لتي

ولا تكمنى عنا الحدثَ ولا الشرحا

لها . لقد مرّ عرّاف اليمامةِ بالحي

فما راعنا ————— الا زيارتهُ ضبجا

طوى الحيّ حى حاء عن قيسَ سائلا

وأطهرَ ما شاء المودّةَ والصحّا

ولاحت له شاةٌ حَثُومٌ بموضعٍ

تَحْيَلُهَا ظِلًا مِنَ اللَّيْلِ أَوْ جُنْحًا

فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندها

فقام إليها يافعٌ يُحَسِّنُ الذَّبْحًا

وقال انزعوا من جُتِه الشافرِ قلدَها

فلم يَأَلُ قلب الشاةِ نَزْعًا وَلَا طَرْحًا

فلما شويناها رَفَى بعزائمٍ

عليها وألقى في حوانبِها المُلْحًا

وقال اطلبوا قبساً فهذا دواؤه

كَأَنِّي بِهِ لَمَّا نَنَاولُهُ صَحًّا

رياد : لعلَّ قيسُ بالشاة عساها تذهبُ الحُبُّ

فما العرَّافُ بالمجهو ل لا علماً ولا طباً

ولم تعلمْ عليه الميد تدحىلا ولا كذا

طبيبٌ جرَّبَ الناسَ في الصحراءِ والرَّطْبَا

فذهى قيسُ ولا ترتبُ بما قال وما بَبَّا

وتلك الأمُّ يا قيسَ أطعها تطعَ الربَّ
 قيس : زياد اسمعُ وكن عوني وخلَّ اللومَ والعُتبا
 إذا ما لم يكن بُدُّ فاني آكلُ القلبِ
 زياد : قيسُ يبغى القلبَ يابلهاء أين القلبُ أيننا ؟
 لهاء : هو عندى ويسيرُ ما استهى قيسُ علينا
 هو فى الشاه

زياد : هُلْمى أرحى القلبَ الينا
 لهاء : القلبُ ! أين القلبُ ؟ أين ياترُ وضعته ؛
 يا ويحَ لى ! نسيتُ أى يى — دى نزعتُه !
 قيس : وشاةٍ بلا قلبٍ يداووى بهاء

وكيف يُداوى القلبَ من لاله قلب !

« يسير بلهاء الى الحى ويظهر صغار من ناحية الحى ليهون فى طائفتين وإذا تقع »
 « أبصارهم على قيس وزياد تغنى كل طائفة بـعاء »
 « الطائفة الاولى »

قيسُ عُصفورَ البوادرى وهـ زارَ الرِّبواتِ
 طرنَ من وادٍ لوداه وعمرت الفلواتِ



« وشاة بلا قلب يداووني بها وكيف يداوى القلب من لا له قلب »

(صفحة ٣٣)

إِيهِ يَا شَاعِرَ نَجْدٍ وَنَجَى الظَّيْبَاتِ
أَضْمِرِ الْحَىَّ وَأَبْدِ لِأَعْفَ الْفَتَيَاتِ

« الطائفة الثانية »

قَيْسُ كَشَفَتَ الْعِدَارَى وَاتَهَكَتَ الْحُرُمَاتُ
وَدَمَغَتَ الْحَيَّ عَارَا فِي السَّمِينِ الْعَارَاتُ
قَدْ دَكَّرَتِ الْغَنَمُ دَعْوَى وَاصْطَعَتِ الْخُلُواتُ
صَلَمَتْ لِيَلَى بِلَوَى مَلِكُ دُونِ الْفَنِيَاتِ !

« يلتقط قيس نصح حصوات من الارض وهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصى من يده ، بينما يظهر من جاب الطريق الآخر اس عوف وكأنه يصيب »
« قيس : ما جيا معه »

قَيْسُ لَا ! سَامِحْ صَغَارَا لَا يُحْسُونُ الْخَطِيئَةَ
إِيَهُمْ وَيَا أَتَوْهُ نَمَافَاتُ بَرِيئَتِهِ
لَقَنَّوْهُمَا كَلَابِ نَزَاهٍ أَوْ بَذْبُئَتِهِ

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إِذْهَبُوا عُودُوا إِلَى آبَائِكُمْ وَادْكُرُوا قَيْسًا بِخَيْرٍ يَأْخُبُثُ
إِذْهَبُوا أَوْحُوا إِلَى أَتْرَابِكُمْ وَلْيُبَلِّغْ حَدَّثًا مِنْكُمْ حَدَّثُ

سَيَنْظُرُ الْحُبُّ عَلَى دِيَا كَمُو

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْحُبَّ عَبَثٌ

« يَجْرِي الصَّغَارُ أَمَامَ رِيَادٍ مُصْطَرِّينَ ثُمَّ يَخْتَهُونَ عَنِ الْأَنْظَارِ ، بَيْنَمَا »

« يَسْتَلْقِي قَيْسٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي شَبَةِ انْغَمَاءٍ »

اس عوف : الى نصيب ورياد يطارد الصغار »

انْظُرْ نُصِيفُ صَحَّةٌ وَصَدِيهِ وَرَحْلٌ يُرْمِي الصَّغَارَ بِالْحَصَا

صَب . أَرَى أَمِيرِي نَشَأً تَعْلَقُوا

بِانٍ سَيْلٍ مُتَعَبٍ وَاهِي الْقُوَى

بن عوف : بل أمضِ سَلْ

نصيب : معرضاً زياد »

من القتي ؟

الرياد : لمسه وقد رأى اس عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقَاتِ ههنا

« ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى نَصِيبٍ »

قَيْسُ إِمَامِ الْعَاشِقِينَ

بن عوف : فهم كثير ، كل قبس بهوى

زياد : أَجْلٌ وَلَكِنَّ الَّذِي تُبْصِرُهُ
 ابن عوف : لعله قيسُ الذي نَعِرُهُ
 لَقَد رَوَيْتَ شَعْرَهُ فِيمَنْ رَوَى
 فأين ظله زياد

زياد . أنا ذا أنا الذي يتبعه حيثُ مشى
 ابن عوف . أنت الذي تهدي لكل قرية

مُجَاوِةَ النحل ونفحة الرُّبَا
 ما باله يَطَا الترابَ حافيا
 ويقطعُ البِيدَ مُمَزَّقَ الرِّدَا
 خُذْ يَا نُصَيْبُ بُرْدَتِي فغَطِّهْ
 لا يلحقنَّه من العُريِ أَدَى
 زياد . إَحْفَظْ عَلَيْكَ الْبُرْدَ يَا أَمِيرُ لَا
 فَقَرَ إِلَيْهِ بَابَنَ سَيِّدِ الْحِمَى
 إِن لَقَيْسَ مِنْ ثِيَابِ الْوَشْيِ مَا
 يَفْنَى بِهِ الْعَمْرُ وَمَا يُعْيِي الْبَلَى

« اس عوف : ما حيا نفسه »

يا وِجْهَ قَلْبِي مَا خَلَا مِنْ قَسْوَةٍ
 ما باله رَقَّ لَقَيْسٍ وَرَثَى
 « يقل على قيس »

قَبْسُ نَبِيٍّ

زياد . هو في إغماءٍ من وَجَدَهُ وَمَا أَطْنَه صَحَا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى »
 « يظهر الحادى ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت »
 « قليلا قليلا حتى يقطع »

أشودة الحادى «

يا نَجْدُ خُذْ بِالزَّمَامِ	وَرَحْبِ
سِرْ فِي رِكَابِ الْعَامِ	لِيَثْرِبِ
هَذَا الْحُسَيْنُ الْإِمَامُ	ابْنُ النَّبِيِّ
النُّورُ فِي الْيَدِ زَادُ	حَتَّى غَمَرَهُ
أُحْدُ الْحَيَاىِ الْوَهَادُ	أُحْدُ الْقَمَرِ
أُحْدُ بَجَالِ الْمَوَادِ	زَيْنَ الْحَمَرِ
	ابن النبي

ابن عوف : سمعتمو ؟ يالك من	رنة حادٍ مُطْرِبِ
زياد . ياليت شعرى ما الركا	ب مَنْ لواء الموكبِ
نصيب . قد بين الحادى فقل	أصمُّ أنت أم غـيبي؟
هذا إمامُ العرب	هذا الحسينُ ابنُ النبي
هذا الزكى ابن الزكى	الطيبُ ابنُ الطيب

عارِضَنَا الْحَسِينُ فِي طَرِيقِهِ لِيُثْرِبَ
 هَذَا سَنَا حَبِينِهِ مِلْءُ الْوَهَادِ وَالرُّثْبِ
 قَدْ حَلَّ حَادِيهِ جَلَا لَ الْقَارِيءِ الْمَطْرَبِ

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نَصَبُ صِهْ لَا تَسْلُكُنْ بِنَا مَسَالِكَ التَّهْمِ
 وَلَا تَظَاهِرْ بِالْهَوَى لَوَارِثَ الْبَيْتِ الْعَلَمِ
 إِحْذَرْ جَوَاسِيْسَ ابْنِ هَنْدٍ وَعَيُونََ ابْنِ الْحَكَمِ
 نَحْنُ رَجَالُ دَوْلَةٍ قَوَّامَةٌ عَلَى الْأُمَمِ
 لَيْسَ بَعِينَهَا عَمِّي وَلَا بَاذِنَهَا صَمَمِ
 تَسْمَعُ فِي ظِلِّ الْقُصُورِ هَمْسَ رُغَيَّانِ الْغَنَمِ

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زِيَادُ انْظُرْ فَمَا انْفَكَّ صَرِيحَ الْوَجْدِ وَالذِّكْرِ
 كَمَا مَرَّ بِنَا الرِّكْبُ الْهَسْبِيُّ بِهْ مَرًّا
 فَلَمْ يَشْغَلْ لَهُ مَالَا وَلَمْ يَوْقِظْ لَهُ فِكْرَا
 زِيَادُ . رَوَيْدَا سَيْدِي مَهْلَا وَلَا تَسْتَغْرِبِ الْأُمْرَا



« اصيب منه لاسلكن بنا مسالك التهم ا »
 (صحيفة ٣٩)

لقد سقناه بالأمس فحجَّ الكعبةَ الغرًّا
 فلما لمس الركنَ ومسَّتْ يدهُ السَّترَا
 وقلنا الآنَ من ليلي ومن فتنها يبرا
 سمعناه ينادى الله من ساحته الكرى

اسعوف : ومادا قال !

رياد : ما تابَ من العشق ولا استرا
 ولكن قال ياربُّ ملكَتَ الخيرَ والشرَا
 وهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلي هو الصرا
 وإن كان هو السحرَ فلا تُطلُ لها سحرا
 وياربُّ هبْ السلوى لغيري وهبْ الصبرا
 وهبْ لي مَوْتَةً الْمُضْنَى بها لا مِيتَةً أُخْرَى

« نقل على قيس ويميل عليه بجمان »

حنانيك قيسُ إلامَ الدهول !

أفِقْ ساعةً من عواشي الخبلِ
 صليلُ البغال ورَحغُ الحُداءِ
 وضجةٌ رَكْبٍ وراءَ الجبلِ

وَحَادٍ يَسُوقُ رِكَابَ الْحُسَيْنِ
يَهْزُ الْحِبَالُ إِذَا مَا ارْتَحَلُ
فَلَمْ يَبْقَ مَاشٍ وَلَا رَاكِبٌ عَلَى نَحْدِ الْأَدْعَا وَابْتَهَلُ
فَقُمُ قَبْسُ وَاضْرَعُ مَعَ الصَّارِعِينَ
وَأَنْزِلْ نَحْدَ الْحُسَيْنِ الْأَمَلُ

« يسمع صوت حاد آخر قادمًا إلى نحد من ناحية يثرب ، على »

« رأس فائلة أخرى وتتر هذه الفائلة كما مرت الأولى »

« أشودة الحادى »

لَا هَلَا هِيَا * إَطْوَى الْفَلَا طِيًّا * وَقَرْنِي الْحِيَا * لِلنَّارِ حِ الصَّبِ
لَا حِلُّ فِي الْمَيْدِ * شَحْنَةُ التَّرْدِيدِ * كَرْنَةُ الْعَرِيدِ * فِي الْعَيْنِ الرَّطْبِ
حَ أُمَ عَنِّي * أُمَ لِلْحَمَى حَا * جُلْجُلُ رَنَا * فِي شَعْبِ الْقَلْبِ
لَا هَلَا سِيرِي * وَامْضِي سَبِيرِ * طِيرِي نَا طِيرِي * لِمَاءِ وَالْعُشْبِ
رَى اسْقَى اللَّيْلَا * وَأَدْرِكِي الْغَمْلَا * الْعَهْدَ مِنْ لَيْلَى * وَمَرِيرَ الْحَبِ
هَ يَا حَادِي * فَتَشَنَّ بَنُونَادِ * فَالْقَلْبُ فِي الْوَادِي * وَالْعَقْلُ فِي السَّعْبِ
قَرَا يَدُو * مَطْلَعُهُ نَحْدُ * فَدَصْنَعُ الْوَحْدُ * مَا سَاءَ بِالرَّكْبِ

« يهيق قبس ثم تلت مصعيا إلى الحداء »

قيس :

ليلي ! مناد دعا ليلي فحفت له
 ليلي ! انظروا البيد هل مادت بآهلها
 ليلي نداه بليلى رن في أذني
 ليلي ردد في سمعي وفي خلدي
 هل المنادون أهلوها وإخوتها
 إن ينسركوني في ليلي فلا رجعت
 أعير لبلاي نادوا أم بها هتفوا
 إذا سمعت اسم ليلي ثبت من خللي
 كسا النداء اسمها حسنا وحببه
 ليلي ! العلى محنون يخيّل لي ؟

ابن عوف :

لا تكثث وتعال يا قيس استرخ
 مما تكابد في الهوى وتلاق

قيس :

هل أنت آس يا أمير جراحتي
 أم أفت من سحر الصبا بة راق ؟

ابن عوف :

بل من رواتك قيس من زمن مصى
 لم أخل قيس عليك من إشفاق

محون ليلي م — ٤

قيس :

قل للخليفة يا بن عوف في عدِّ من ذا أباح له دمَ العشاق ؟
هدرت حكومتُهُ دمي فتحرّشتُ بدمٍ على سيف الحفون مُراق

اس عوف :

أرّصيتني عمد الخليفة شافعا ؟ يا قيس

قيس : في أنهه : لا والواحد الخلاق

بل عندك بلي فامض فاشفع لي لدى ليلى وناشد قلبها أَسْوَى
جِئْهَا فذَكِّرْهَا الْعَهْدَ وَحَفِطْهَا واذا ذكر لها عهدى وصف ميثاقى
ليلى إذا هي أقبلتْ حَقِقتْ دمي كرما وفكّكتْ يا أميرُ وثاقى

اس عوف :

الآن قيسُ اذهبْ فمدّلْ حلّةً وتردّ غيرَ ثيابك الأحلاق
فالصبحَ تدخلُ حى ليلى فبسُ في ركبي وبين بطانتى ورهاى

قيس الى زياد :

أسمعت ما قال الأميرُ؟ زيادُ، طِرْ نحو الحمى بجماحي المستاق
إذهبْ وسلْ أُمى أعزّ ملابسى من كل شاميٍّ وكلّ عراقي
واد كر لها فصل الأمير، ولم تزلْ نعمُ الأمير قلائدَ الأعناق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس باس عوف كالطفل »

شكرا لصنعك يا أمير
ودُمتَ مقصودَ الرحاب
عجل أمير

اس عوف ضاحكا : بل انتظر
قيس : مَنْ مُبلغُ أُمى الحزينة
أنسىت يا قيسُ الثياب ؟
وَمَنْ الشيرُ اليك يا ليلي
أن ععلى اليومَ ثاب ؟
اليومَ أهلا بالحياة
بقيس في الركاب ؟
ومرحباً بك يا سباب !

« ستار »

الفَصِيلُ الثَّالِثُ

« قطعة من الصحراء تبدو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر »
 « ممتدة الى ما وراء اليسار على سمح جبل الوباد — حباء مضروب »
 « الى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية حيام الحى — على »
 « اليمين أشجار بان يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس »
 « ورياد »

ابن عوف: تراءى الحى للركب
 وأشرَفْنَا على الشعبِ
 أفقُ قيسُ أما في رؤ
 ية الخيمات ما يُصبى !
 ألا تهتِفُ بالشكوى
 الى ليلى وبالعت
 قيس: ديار الحى من ليلى
 سلامٌ من شج ص
 على الحى على الدار
 على ليلى على الحب
 غدا الركبُ على طيب
 كريح المندل الرطب
 فيا ليلى عسى اليوم
 أبلُ الشوقَ بالقرب
 عسى الخطبةُ لا تنزلُ
 فى ناديك كالخطب
 عساهم لا يقولون
 فتى مشتركُ اللب

ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقِ سوى ذنبى
 يقولون بها غنى لقد غنيتُ من كربي
 سلى ترْدَكُ كم مرّعت خدّىَّ على التّرب
 وم جُدتُ على الرمل ولم أبحلْ على العُشب
 بدمعٍ مثل دمعِ النُّكلِ مغرورٍ من القلب
 « يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

اسر عوف: قيسُ اتبتهُ قيسُ

قيس : مَن المنادى !

اس عوف : الحى فى السلاح سدّ الوادى

وأب قيسُ بعد حينٍ غاد على خصومٍ لدِّدٍ شِدَاد
 فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لاتلَقَهُم مُصَيِّعَ الرِّشَاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أُبَصِّرُ يا ابنَ عوفٍ حىَّ ليلى تدجّجَ فى السلاح ولا تراها !
 فما لى لا أُحقِّقُ غيرَ ليلى وإن كثر السَّوادُ لى حماها
 لقد ألقى هوى ليلى حجابا على عيني فليست أرى سواها
 وبغضتُ النصيحَ الى ليلى وسدّ مسامعى عنه هواها



« أتبصر يا بن عوف حي ليلى تدجج في السلاح ولا فراها ؟ »

(صفحة ٤٧)

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقة »
 « سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئاً فشيئاً »

أرى حى ليلي فى السلاح ولا أرى سلاحها كهجر العامرية ماضيا
 دى اليوم مهدور ليلي وأهلها فداء ليلي مُهدرات دمايا
 لى الله! ماذا منك يا ليل طاف بى وما ذلك الساقى وماذا سقانيا!
 دعونى وما عندى ليلي أقوله ليلي واسندشى الذى عندها ليا
 أهيمُ فاستعدى نهارى على الحوى وأقبعُ ليلي أستجيرُ القوافيا
 (فما اشرفُ الأيفاعَ الا صابئةً ولا أنشدُ الأشعارَ الا تداويا)
 إذا الناس شطر الببت ولو أوجوههم — لم تلمست ركنى ببتها فى صلاتيا
 (أصلى فما أدرى إذا ما دكرتها أنتنّين صليت الضحى أم ثمانيا)
 توارت وراء الجمع ليلي فخانها فم كانسام الصبح يأتى التواريا
 وطيب به خصت حوى الطيب كل — فقله الافاحى أوقفله العواغيا
 فأحسنت من فرعى لسافى هزةً كأن عياناً منك لاقى عيانيا
 دعونا وما يبقى إذا ما فنيتموا فوالله ماشى خلا الحب باقيا
 مشى الحب فى ليلي وفى من الصبا ودب الهوى فى ساء ليلي وشائيا
 وإنى ولىلى للأواخر فى غدٍ لشغل كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترخ ويتلقاه »

« زياد — تسمع أصوات الحى من قريب »

ان عوف: زيادُ أدركه أدركُ إني أرى الداء عادهُ
لقد تصاءل قنسٌ واصفرَّ مثلَ الحراده !
وليس قنسٌ بملقٍ إلا إلـك قياده
الآن أسعى لقنسٍ سعبا أحافُ فسادهُ
فهل ننا وقنسٍ حـتى يُصـدب رتـادهُ

« يحملون قنسا ويحفون به وراء شجر »

« البان ، وتظهر طلائع الحى من اليسار وعلى »

« رأسها المهدى وممازل، وكلهم شاكى السلاح »

المهدى :

ياقومُ إن البغى شرُّ مركبهُ والخيرُ فى حانف من يُجنسهُ
هذا ان عوف قد أطل موكبهُ وإن قيسافى الرّكـب يصحـنهُ
جاء يرومُ صهرٍ كم ويخطئهُ وقد علمتمُ كيف ساء مذهبهُ
وكيف طال بابنتى تشبهُ

صوت : كله الى سيوفنا تؤدّبهُ لقد وحدناه وكنا نرقبهُ

المهدى : لا ، دم قيسٍ دُمْنَا لَا نَقْرَهُ يكفيه منا أنذا نُخَيِّتَهُ
وَنَصْرِفُ الْأَمِيرَ عَمَا يَطْلُبُهُ

صوت آخر: شَيْخَ الْحَمَى لَا تَضْعُفْ ولا تَرَدَّدْ وقف
دُذُّ عَنْ عَقِيلَةِ الْحَمَى وامْنَعْ حَاضَ الشَّرَفِ
لَا تَصْعَ لِلشَّاعِ فِي قَسْ وَلَا الْمُسْتَعِطِفِ
لِبَسِ ابْنُ عَوْفٍ فِي الَّذِي سعى له بِالْمَنْصِفِ
أَلَا أَمِيرَ بَعْدَ مَا أَحَارَ قَيْسًا تَحْتَفِي !
لَا تَخْشَ نَاسَهُ وَمَنْ رَجُلًا لَا تَخْفِ
نَحْنُ كَعُثْمَانَ وَلِيْلِي سَنَنَا كَالْمُصْحَفِ

« يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم رِيَاد »

ابن عوف : عِمُّ أبا لبـلى صباحاً
المهدى : عِمُّ صباحاً يابنَ عوف
ابن عوف : قل لهم يُلقُوا السِّلَاحَا ليس ذا مَوْطِنَ خَوْفٍ
صوت من الحمى :

يا بِنَ عَوْفٍ يَا أَمِيرَ ليس ذا شَأْنِ الْوُلَاةِ

كيف تَحْمِي وتُجِيرُ مُسْتَبِيحَ الحُرُمَاتِ ؟
 ابن عوف : عامِرُ يا أحمَدَ البطَّاحِ وأَسْمَحَ النَّاسِ بَطُونِ رَاحِ
 مَالِي وللسيوفِ والرمَاحِ ؟ ضيف أناوما ومن السَّماحِ
 رَدِّكُ وحة الضيف بالسلاح ماجتكم يا قومُ للكفاحِ
 بل حثُّ للتوفيق والإِصلاحِ

« تحدث ضجة في جانب الحى وتصايح وتهامس »
 « ثم يلقى كثير منهم السلاح ويفقد السيوف »

صوت من الحى :

يا أنا ليلي بليلى حُدْ لقيسٍ بالحياة
 إنه شاعرٌ نَجْدٍ وَبَجَى الطَّبَّياتِ
 صوت آخر : قيسُ أخُ وابنُ عمِّ وليس أهلاً لذمِّ
 نجمٌ أضاء بنجد سماعاً على كل نجم
 هبوه جنَّ ليلي ليس الغرام بجُرم
 « منازل : حيث يستقبل الجمعُ خطيباً »

إن قيساً معشرَ الحى أخُ وابنُ عمِّ أئمنه تبراؤن ؟
 أصوات : لا وربَّ البيتِ

منازل : أصغوا لى إذن
 إن قيساً شاعرُ البِيدِ الذى
 ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
 لا يُجَارَى أفاتم مُنكَرُونَ ؟

أصوات : لا وربّ البيت

منازل : أصغوا لى إذن
 إن قيساً سيّدٌ من عامرٍ
 ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
 وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

أصوات : لا وربّ البيت

منازل : أصغوا لى إذن
 إن قيساً قد بنى الحدّ لكم
 ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
 ولنجدِ أبقيسٍ تكفرون ؟

أصوات : لا وربّ البيت

منازل : أصغوا لى إذن
 إن قيساً كاملاً فى عقله
 ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
 أو أنستم على قيسَ الجنون ؟

أصوات : لا وربّ البيت

منازل : أصغوا لى إذن
 أنا لم أعدِلْ بقيسٍ شاعرا
 ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
 لا ولا أتم بقيسٍ تعدّلون

أصوات : لا وربّ البيت

منازل :

أَصْعَوْا لِي إِدْنُ
 أَنَا فِي وُدِّي وَإِغْشَى بِهِ
 شَعْرُهُ يَبْقَى وَيَفْنَى عَيْرُهُ
 شَعْرُ قَيْسٍ عَبْقَرَى حَالِدُهُ
 وَلَوْ أَنَّ الْمُتَحَيَّ سَاعَرُ
 رُبَّ شَعْرٍ قَالَ فِي لَيْلِي ، بِهِ
 إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ عَارَهُ
 ضَجَرْتُ لَيْلِي وَصَجَّتْ أُمُّهَا
 وَغَدَا كُلُّ فَتَى مِنْ عَامِرٍ
 ثُمَّ ظَنُّوا كَيْفَ سَتَمُّ بِي الظَّنُونُ
 لَا يَدَانِنِي الرِّوَاةُ الْمُعْجَبُونَ
 لَيْسَ كُلُّ الشَّعْرِ تَرْوِيهِ الْقُرُونُ
 لَيْتَهُ لَمْ يَتَحَلَّلْهُ الْمُجُونُ
 غَيْرُ قَيْسٍ أَوْشَكَ الْخَطْبَ يَهُونُ
 هَتَفَ الْبَدْوُ وَضَجَّ الْحَاضِرُونَ
 رُبَّ عَارٍ لَيْسَ تَمَحْوُهُ السَّنُونُ
 وَأَبُوهَا وَتَادَى الْأَقْرَبُونَ
 حِينَ يَلْقَى النَّاسَ ، مَحْنَى الْجَبِينِ

« أصوات كثيرة »

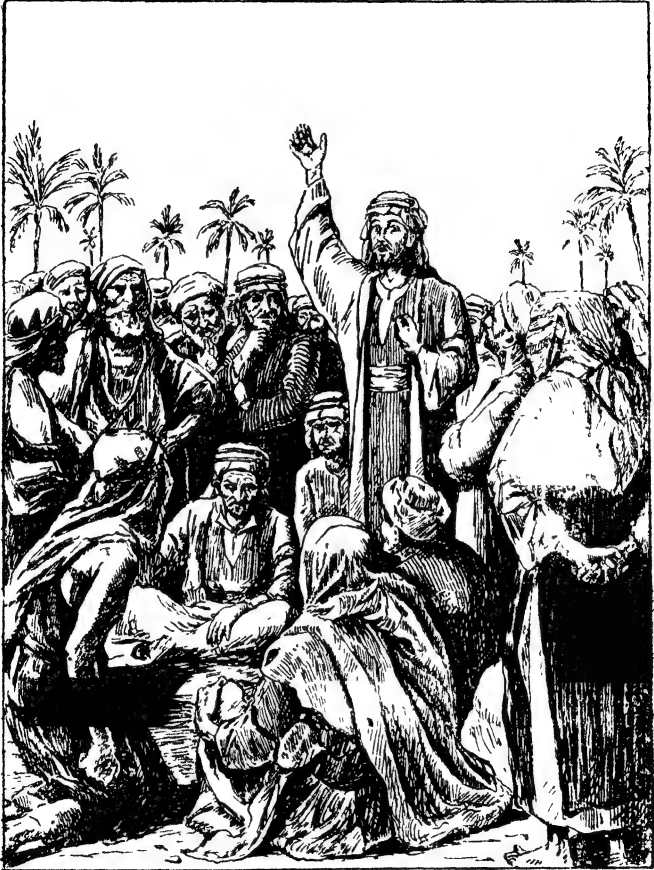
هو ما قلت

منارل : إدن ما بالكم
 هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى
 وأبو ليلي امرؤهُ أدري له
 لم تتوروا ، ما لكم لا تفضبون ؟
 يطأ الحمى وأنتم تنظرون
 رقة القلب وأخشى أن يلين

بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم
ومن الحى بليلى يخرجون
آن يا قومُ لكم أن تعلموا
أن قسأهتك الحدرك المصون
قيسُ لم يترك ليلي حُرمةً
مالدى أتم بقيسٍ فاعلون!
صوت : ماجنٌ لا بدّ من تأديبه
صوت آخر:

صوت : نأخذُ الحىَّ عليه
آخر : ولنقفُ
دون ليلي وحماها كالخصون
دمَ قيسٍ ما الذى تنتطرون!
صوت : حلّل السلطان بالأمس لكم
صوت : حلّل السلطان بالأمس لنا
« أصوات أخرى »
« ضجيج واندفاع »
صوت : مُنازِ يابنَ العم ما هذا الخبرُ!
رفعتَ قيساً فجعلته القمرُ
والآن أغريتَ بقتله الزمَرُ
كفعل جزار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقرَ!
« يصعد بشر مبرا للخطابة فاجتمع حوله جماعة من الناس »

قائل : إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ وخطيب



• « حلل السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟ »

(صفحة ٥٥)

يسأل أحدهم: ليت شعري من يكون!

آخر : أو أعمى أنت هذا شرُّ

آخر : يحسن الخطبة بشرُّ ويُسِين هل

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

شر :

قف منازل اسمع سمعت الرعد من حابي صاعقة فيها المنون

وسمعت الذئب في جَوْز الفلا وسمعت الليث في جَوْف العرين

أخطيبُ أنت أم خطبٌ وإن لم تهن والخطبُ أحياناً يهون

سارل صائحاً: بشر . . .

شر : قف !

سارل :

مالك يا بشرُ ولى ؟ إر حرب الأهل والصحب جُنون

شر :

لم إذن حاربتَ قيساً لم تصن حرمة ابن العم أو حق الخدين ؟

سارل : قلتُ بشرُ الحق

شر : خلّ الحق ما أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقلبٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد المهيمن
كلما حدثت عنه عامراً قرأت في وجهك الداء الدفين
ترسلُ الرورة نثلاً أختها وتفسُّ الصدر من حين لحين
يا منازلِ يابن عمي أصع لي
أنت دون أنت دون أنت دون !

منازل : دعوني

سر من السر : دعوني فلا بدَّ لي

رحل : أنا تارك لا بد أن أقتله

منازل : دعوني

سر : دعوني

رجل : دعوه أتركوه

آخر : ومن كثف النذل أو كذله ؟

منازل : دعوني

رجل : دعوه

آخر : كلا البطلين يقول الوعيد ولن يفعله

نشر : دعوى

رجل : تقدّم

منارل : دعوى

رجل : انطلق

نشر : دعوى

رجل : حثّه

منارل : دعوى

رجل : إمش له

آخر : تنحّوا وحلّوا سبيلهما ولا تخشوا الوقعة انقلبه

نشر : منارل في عقله كامل

منارل :

وعقلك يا بشر ما أكمله

نشر : أنزرو على الحى ترّو الديوك

وتقفز كالأ كدش الرسالة

وتملق رأسى كرمّانة

وأفلق رأسك كالحنظله

هَذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْعَوِيلُ

ومادا انتفاعى بالولولة ؟

رياد : منازل كنت كثير الكلام

ووالله ماقلت الا الكذب

صوت : أترعّمه كاذبا يا زيادُ وقد ذاد عن حُرّمات العرب ؟

رياد : رويدك لا تنخدع يا فتى ولا تأخذ الأمرَ دونَ السببِ

فلم يبيع الا خداعَ الجموع وجلب الطنون وخلق الرّيب

وأثرّ فيكم وفي آخرين وأفرغ فيكم سُومَ الرُّقُبِ

صوت : منارلُ دافعَ عن سُمّةِ مُعظّمَةٍ من قديم الحقب

رياد : تأمل منازلُ سُخْطِ الجموع وحهلك ماذا عليهم جلبُ !

أحلّ قد غصتَ ولكما لنفسك لبس لليلي الغضب

تحضُّ على قتل قسّ الرحال لتحظى ليلي إذا ما ذهب

أصوات : يُريدُ ليحظى ليلي ؟

زياد : نعم !

صوت : تكلم

صوت آخر : أبن

ثالث : إن هذا عجب !

زياد : ألم يكُ يَغشى النّدى ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب ؟

« صوت يحاطب المهدي »

إذن كان يحطبُ ليلي؟

المهدي : نعم !

صوت : إذن قد تجبّي

صوت آخر : إذن قد كذب !

زياد : منازلُ قل لهُموكم صرء مت لليلي وكم أعرصتْ لم تُجبْ

صوت : منازلُ احدعْ وغشَّ غيري

آخر : قدحازَ الا على كِذْبُك !

ثالث : ما أنتَ إلا جَوٍّ شَقِيٌّ تحبُّ ليلي ولا تُجيبُك !

« تحدث صيحة حول مبارل ويقف ثلاثة رجال في ركن قصي من أركان المسرح ،
« يتحدثون »

الأول : قد اختلف الحى في أمر قيسٍ ويلي وكلُّ له مذهبُ

وأنت الى أى رأى تميلُ وأىَّ الفريقين ستصوبُ

الثانى : إذا صدقت نظرتى في الأمور ولى نظرةٌ قلما تكذبُ

منازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسُ على فضله أخيبُ

وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريب له فيكمو مأربُ

الاول . غريب ؟

الثاني . أحل من نواحي ثفيف

الاول : ومن داك ؟

الثاني : ورد

الاول : وما بطلب !

الثالث : رأبذه في الحى يمشى الحياء

الاول : وللى ابنة الشيخ ما رأيها

الثاني : أراها وإن لم نَحْطُ الشاب

تصون القديم وترعى الرميم

وبالحجـاهليه إعجامها

ومن سنة البيدفـض الأـكف

فلا تعجبوا إن جرى حادث

وإن رصيت ورد بعلا لها

فيا طالما التمت مـهـرنا

مبارك : بى عامر لا تُضيعوا الحُلوم

فان الأناة بكم أجمل

هَبُوا لِي آذَانَكُمْ إِنِّي
خَطَبْتُ وَأَخْطَبُ لَيْلِي عَدَا
وَقَدْ نَعَرِضُ الْيَوْمَ لَبْلِي فَلَا
ثُمَّ قَيْسُ أَحَدَرُ مِنِّي هَهَا
رِيَادُ : إِلَيْكَ مَنَارُ ! لَا تَتَرَنَّ
وَلَا يَسْنُوِي الشَّاعِرُ الْعَبْعَرِي
مَنَارُ : وَمَا أَنْتَ ؟ دَيْتْ لَنَا يَا زِيَادُ

« رِيَادُ — مَسْكَ بِدِرَاعِ مَنَارُ »
هَلُمَّ مَنَارُ . هَلُمَّ الصَّرَاعُ !
مَنَارُ : خَلَّ زِيَادُ حَلًّا عَنْ ذِرَاعِي
رِيَادُ :

سَأَلْتَ مَا أَنْتَ ؟ فَأَصْعَرَ رِيعَ -
إِنِّي أَنَا مُعَزَّقُ الْأَضْلَاعِ !

« ثُمَّ يَجْرَهُ مِنْ دِرَاعِهِ وَيَمْضِي بِهِ إِلَى حَارِجِ الْمَسْرَحِ »

صَوْتُ : مَاذَا يَكُونُ يَا تَرِي ؟

هَيَّوُوا نَرِي هَيَّوُوا نَرِي

آخِرُ :

« آخِرُ وَهُمْ يَتَدَافَعُونَ »

زِيَادُ غُـيرُ هَازِلْ

آخر : نوحوا على منـازل

آخر : حمـامةٌ وبارى !

آخر : هـلكت يا منـاز !

آخر من بعيد : إهـرب من التـرازِ

« يخـلـو المـرح الآن الا من المـهـدى واس عوف »

« ونصـيب ثم تـسمع صـرحة من وراء الشـجر »

مـهـدى : ما بـقيـسٍ يابـنَ عوف ؟

ابن عوف : انه مـغـمى عليـه

مـهـدى : قـيسُ لا نـاسَ عليـك كـبروا في اذُنـيه

« صـوت من وراء الشـجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سـدى كـبروا ما اذُنُ قـيسٍ مـفـيـقةٌ وإن سـكـبوا فيـها اذـانَ بـلال

واـكن على لـيلي يُفـيـقُ وشـبـهـها إذا ما بـدت لـيلي بـشـكـلِ غـزال

ويـصـحو على لـيلي إذا رـدّ داسـمـها وراء بُيـوتٍ أو وراء رِحال

الهدى :

دَمُ الْوُدِّ وَالْقُرْبَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا
وَإِنِّي لَأَنْسَانٌ وَإِنِّي لَوَالِدٌ
فَرَفَقَا بِقَيْسٍ يَا أَمِيرُ وَنَحَّه

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاهُ يَسِيلُ
وَلِي مَذْهَبٌ فِي الْوَالِدِينَ جَمِيلُ
بَعْدَ الْعِلِّ الشَّرِّ عَنْهُ يَزُولُ

ابن عوف :

أَنَاةً أَبَالِيلِي وَحِلْمًا وَلَا يَكُنْ
رَدَدْتُمْ رِكَابِي وَاتَّهَمْتُمْ زِيَارَتِي
تَأْمَلُ تَجِدُ حَمَامَةً غَضًّا وَكَثْرَةً
رَبِّهِ وَسُتَنَزَّى الشَّرُّ فِيهَا وَرَاءَهَا
تَطَلَّبُ أَنْ يُلْقَى إِلَيْهَا بِحُجَّةٍ
نَوَاطِرُ مَا يَأْتِي بِهِ الْيَوْمُ مِنْ دَمٍ
نَزَلْتُ فَلَمْ أَكْرَمْ فَهَلْ أَنْتَ مُتَّبِعِي
أَبَيْتُمْ عَلَيَّ الْقَوْلَ قَبْلَ اسْتِمَاعِهِ
فَهَلْ لِي أَبَالِيلِي بِنَادِيكَ وَقَفَةٌ
وَمَا أَنْامَرَةً السَّوَاءِ أَوْ رَجُلُ الْأَذَى

عَلَيْكَ لَطْفِيَانِ الطَّنُونُ سَبِيلُ
وَأَجْلَبَ فِتْيَانٌ وَضَجَّ كَهُولُ
تَصُولُ وَمَا تَدْرِي عِلَامَ تَصُولِ !
يَهْوَسُ دُثَابٌ مَا لَهُنَّ عَقُولُ
عَلَى غَيْرِ حَوْعٍ أَوْ يُسَاقَ قَتِيلُ
وَإِنْ لَمْ يُسَاوِرْهَا صَدَى وَغَلِيلُ
وَقَوْمُكَ نَارَ الطَّرِّ دَحِبُ أَمِيلُ ؟
فَلَمْ تُنْصَفُوا وَالْمُنْصَفُونَ قَلِيلُ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ حُدِّثُ فِيهِ جَلِيلُ
وَلَكِنْ سَفِيرٌ خَيْرٌ وَرَسُولُ

ولم اتخذ حاه الأمور ذريعةً
ألا إنما حاه الأمور يزول
المهدى :

نقبتم بحر يا ولادة أمية
ولا زال يقوى ركنكم ويطول
« مشيراً الى باب الخفاء »

هنا مجلسٌ ناوى اليه لعلنى
أقولُ صواباً أو عساک تقول
وتمّ ترى ليلي وتسمعُ قولها
وليلي لها رأى يُساقُ حميل
فعلها عسى أن نهتدى ماحواها
إيا. وردّ أو رصى وقبول
« يهيم ابن عوف نخلع عليه »

المهدى: أتخلعُ عليك؟ لا يابن عوف
أتمشى الى مبرلى حافياً
اس عوف :

خلعتُهما وانتعلتُ الترابَ
الى حيمه السيد المفصل
« اصيب : متدخلا »

دعه يا مهديّ يفعل
إنما يررمي لمعنى
كالحسين بن عليّ
هو بالعشاق يعنى

الحسينُ انتعل الترتُ
ورآه حافيا في سا
قال لا أملك يابن
أنت في الدار أميرُ
الى والد لُمنى
حة الدار فجنا
المصطفى بدئا ولا ابنا
فما نسأت هُرنا

« لعمري »

يادهر دُرُ بما تشا
ويا وظيفة اعرُبي
يبيعى ابنُ عوفٍ أن يكو
وياحوادُ اهرلى !
ويا حراية ارحلى
ن كالحسين من على !

« يدخلان ويأدى المهدى : »

هو الضيفُ ياليل هان الرُطُ
وهاقى من التهد ما يُشتهى
فما هو صيفُ ككل الصيو
وهاى السواء وهاقى الحلبُ
ومن سمعة الحى ما يُطابُ
فولكن أميرُ كريم الحسب

« ليلي من وراء حجاب »

أبى ألف لبّيك !

ابن عوف : لا بل قفى
فما بى ظمأ ولا بى سعب

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقِرَى دِينَكُمْ وَأَنْ أَبَاكَ جَوَادُ الْعَرَبِ
ولكن طعامي

المهدي : ماذا ؟ اقترحْ

ابن عوف : طعامُ الرسول بلوغ الأرب

المهدي : إِنْ قَفَى لَيْلَى اقْرَبِي -

« تَطْهَرُ لَيْلَى مِنْ وَرَاءِ السَّتْرِ »

تَقْدِيمِي وَرَحِي

حَلَّ ابْنُ عَوْفٍ دَارَنَا

ليلى : أَكْرَمَ بِهِ وَأَجَبَ !

قَدْ رَارَنَا الْغَيْثُ فَأَهْلًا بِالْغَمَامِ الصَّيِّبِ

ابن عوف : أَهْلًا بِلَيْلَى بِالْحَمَالِ بِالْحَجَى بِالْأَدَبِ

عَشْتِ وَقَيْسًا فَلَقَدْ نَوَّهْتُمَا بِالْعَرَبِ

« لَيْلَى - بِنُ الْحَمَلِ وَالْغَصَبِ »

أَتَقَرُّنُ قَيْسًا بِنَا يَا أَمِيرُ ؟

ابن عوف : وَلَمْ لَا وَقَدْ جُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ

وا عطفَ شكلاً على شكله
وما زالَ يجمعُ في حبله

وَمَنْ أَنَا حَتَّى أَضُمَّ الْقُلُوبَ
لَقَدْ جَمَعَ الْحُبُّ رُوحِيكَا

« ليلي : في اسجياء »

أَجَلْ يَا أَمِيرُ عَرَفْتُ الْهُوَى

فَهَلَّا عَطَفْتُ عَلَى أَهْلِهِ ؟

ابن عوف :

« يلتفت الى المهدي »

يقول وينطقُ عن نُبْلِهِ
وَلَا يَسَعُ ظِلْمُكَ فِي قَتْلِهِ
مَتَى حَارَ شَيْخٌ عَلَى طَعْلِهِ ؟
خَذِي فِي الْخَطَابِ وَفِي فَصْلِهِ

أَنَا الْعَامِرَةُ قَلْبُ الْفَتَاةِ
فَأَصْعِرْ لَهُ وَتَرْفُقْ بِهِ

المهدي : أَأَظْلَمَ لَيْلَى ؟ مَعَاذَ الْحَيِّ !
هُوَ الْحُكْمُ يَا لَيْلَى مَا تَحْكُمِينَ

ليلى : أَقْبَسًا تَرِيدُ ؟

ابن عوف : نعم

مُنَى الْقَلْبِ أَوْ مُنْتَهَى شُغْلِهِ
وَتَمْشِي الظُّنُونُ عَلَى سِدْلِهِ
وَيَنْظُرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ ذُلِّهِ

ليلى : إنه
وَلَكِنْ أَتَرْضَى حِجَابِي يُذَالُ،
وَيَمْشِي أَبِي فِيغَضُّ الْجَبِينَ،

يدارى لأجلى فضول الشيوخ، ويقتلني النعم من أجله
 يمينا لقيتُ الأمرين من حماقة قيس ومن جهله
 فضحتُ به في شعاب الحجاز وفي حزنٍ نجدٍ وفي سهله
 فخذ قيسُ ياسيدي في حماك

« في حياء وإياء »

والق الأمار على رَحَلِهِ ولا يفتكر ساعةً بالزواج ،
 ولو كان مروان من رُسُلِهِ

ابن عوف :

إذن لن تقبلي قيساً ولن ترضى به بعلا
 إذن أخفق مسعاً وخاب القصدُ ياليلي
 على ألك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
 وأوصيك بقیس الخـ ير لا زلت له أهلا
 لقد يُعوزُه حامٍ فكُنْه أيها المولى

« تلتفت الى أيها وكأنا تحاول »

« أت تحبس في عينها دموعا »

أبي كان وردُ ههنا منذ ساعةٍ فقيم أتى ؟ ما يبتغي ؟

حاء يخطُب

المهدى :

ابن عوف: ومن وردُّ ياليلي وهل تعرفينه ؟

ليلى : فقی من ثقیفٍ خالصُ القلبِ طیبُ

أنى خاطباً بعد افتضاحی بغيره وعاری، أهذا یابن عوفٍ یُحییُّ؟

أبی : أين وردُّ الآن ؟

المهدى : عند قرابةٍ من الحیِّ صموه الیهم ورحموا

فان شئتِ أرسلنا الیه

ليلى : إبعثْ ادعُهُ وجئنا بقاضی نَحْدِ اليومَ یکتبُ

ابن عوف :

تجاوزت لیلى عایة السُخْطِ فاذا كرى

عواقبَ رأى قد رأیتِ سخیفِ

لیلى متهمكة :

أكنتُ ابنَ عوفٍ غیرَ أنى ضعیفةٍ

تناهتْ لرأى فی الأمورِ ضعیف

ابن عوف :

أرى وقتي ياليلَ كانت شريفةً ولكن جزأى كان غيرَ شريفٍ
لبلى :

أنظفُ ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحى غيرَ نظيفٍ
ابن عوف :

لئن كنتِ ياليلى بورِدِ قريرةً فانى حلى قيسٍ لجِدُّ أسيفٍ
« ثم يخاطب أمها »

الآن بحفظ الله يا سيدَ الحى لقد طال بُنى عندكم ووقوفى
ووفقتُ يا ليلى
لبلى :

لقد كنتِ سيدى حليفاً لقيسٍ، هل تكورُ حلىنى !
ابن عوف :

سألتُ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثقيف !

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »

« المهدى الى ما وراء شجر النان »

لبلى :

رأاهُ ماذا قاتُ ! ماذا كان من شأن الأمير الاريجى وشانى ؟

في موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً فيه وكنت قليلةً الاحسان
 فرعمتُ قيساً نالني بمساءةٍ ورمى حجاني أو أذالَ صياني
 والنفسُ تعلمُ أن قيساً قد بى مجدى وقيسٌ للمكارم بان
 لولا قصائده التي نوّهن بي في البيد ما علم الزمان مكاني
 جدّه غداً يطوى ويفنى أهله وقصيد قيسٍ فيّ ليس بفان
 مالي عَضِبْتُ فصاعُ أمرى من يدي

والأمرُ يخرجُ من يدِ الفصبان
 فالوا انطرى ما تحكين فليتنى أبصرُ رشدي أو ملكتُ عِنائي
 ما زلتُ أهزى بالوساوس ساعةً حتى قتلت اثنين بالهذيان
 وكأني مأمورةٌ وكأنا قد كان شيطانٌ يقودُ لساني
 قدّرتُ أشياءَ وقدّر غيرها حظٌّ يحطُّ مصائرَ الإنسان

« ستار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قريه من قرى الحن ، حيث اجتمع »
 « طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو مهم على وجهه صالا في العلوات ، »
 « ومنهم ساء منهم في سكل إيسي حيل الثياب يتردى الحرر »
 « من فرعه الى قدمه ، وعلى رأسه عقلا لار من الحرر المحلى »
 « بالذهب ، هو الاموى سيطان قدس - الجميع يشدون ويرقصون »

« بشيد الحن »

هذا الأصيل كالذهب بصيل بالمرأى عجب
 على الوهاد والكتب

لرقص يعن الطرب هلم يا حن العرب
 هلم رقصه اللهب إذا مشى على الخطب
 نحن نو جهنمنا نعللى كما تغلى دما
 ننور فى الأرض كما نأز أنونا فى السما
 نحن نو الحبار العلم المنار

يا عرَّ من له انتمى
نحن الرياحُ العاصفه
عرمرماً عرمرماً

نرى وسمعُ الشر
منا ومن تكلمنا
سادهٍ أو بحدم

عمى عمى عمى عمى
با عصفوت ما الحبر ؟
حصرنها فيمن حصر

ماذا هماك يا عسر ؟

ما لبس بدرى كاليفز
من الإنس يرسف في ضره
فتى به الشجر من قدره

إلبس بكر المـار
نحن الرعودُ القاصفه
والطلـاتُ الزاحفه

لنا وما لما صوز
ولا يرون من حصر
يقول حين لصطدم

صمم صمم صمم صمم
هيـد : فـم اجمعنا هـما ؟
عصفوت : لا أدري . . . تلك صـحـة
فـل أحـاك عـسراً

هيـد :

عسر : نحن مسوقون الى
الاموى : بى الحن فى أرضكم عاير
فغالوا به واعلموا أنه
هيـد : وأين ترى هـو ؟

آخر : ماذا يكون

الاموى : وماذا يهملك من امره

ألم تعلموا أن لى صاحباً
من الانس أحكم في شعره
هسد : أحل أنت توحى له ما يقول
وتقدف ما سئت في فكره
الاموى :

إذن فاعلموا أنه عاشق
عاصف: وأعلم أن الهوى واحد
تملأن البيد من ذكره
وأن التي سحر قلبه
حوى المسهامين في أسرهِ
الاموى :

وإني لأكفل ليلي له
سهرت على طهر لبلى الرمان
وأصرها عن هوى غيره
صرفت عن الحب حتى الزواج
ولم أغمض العين عن طهره
ولو أن عيني تشق القبور
وما قدس الله من سره
سهرت على الحب في قبر !

عصيفوت :

ومن يكون

الاموى :

قيس

عصفوت : من قيس ؟

عاصم : وهل يخفى القمر !

الشاعرُ الذى سحر

حَنَجْرَةً لَنَا وَتَرَّ

ومالنا يا عصفوتُ

وما لقينا منهمو

عصفوت : بى الحنَّ اسمعوا أبكم زكام

جى :

عصفوت : نَتَنَّتْ لِعَمْرُكُمُ الْجَوَاهِرُ وَلِمَ ؟

أحر : وما فى الجواهر ؟

عصفوت : ريحٌ آدمى

ففيه تَنَانٌ وله ذَكَاء

إذا الشرى مرَّ علىَّ يوماً

فقد مرَّتْ علىَّ الخُمْفَاءُ

حی : أَجَلَ بَعْدَاوَةِ الشَّرِّ ابْتُلِينَا

مصی بالکبر ایلمیس ^{۴۰}أبونا

يَعِيبُ رَحَالَهُمْ فَيَقَالُ عَمَّا

وان عجز المطيب قال دأ

وَأَنْ قَفَرْتُ صَعَارَ عَمُو فَرَلْتُ

وَوَخَّفْنَا مِنْ أَدَائِهِمْ فَاخْرَجْنَاهَا

وَمِنْ مَنَعُوهُ بِاللَّهِ مِنْهَا

عصر روبرو: وفد دستگرومن الناس التجنى

حی : اَرْسَلُ اللّٰهُ اَيْصاً مِنْ عِدَاہَا

عصر فوت:

بی فحماً سلیمان وصحماً

ہدیما تدمر الکبریٰ ہاید

حی : وما كان الحراء؟

آخرور : اُبن !

عذاب

عصر فوت :

وطال بها الترمُّمُ والعناء

وکلُّ تَرَاتِ اَدَمَ کَرِیَاءِ

وَتَذَوِّنُ عَارِهَا فِىَ الدَّسَاءِ

من الخنثى ليس له دواء

ثُمَّ مَعْشَرَ الْجَنِّ الْبِلَاءِ

فما عصم الحجاب ولا الخفاء

تَعُوذُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَالسَّمَاءُ!

ونسي ما جناه الأبياء

أهل هم في عداوتنا سواء

ولولا الحنَّ ما نهضَ البناء

وہل تدرور ما کان الجزاء؟

وسجن ما لمدته انقضاء !

فتحت الماء

حى : تحت الماء ؟

عصرفت : عان

عليه طلاس وعله ماء !

وفى خوف القمام لو علمهم

آخرون : وما ذا فى القمام ؟

عصرفت : آرياء !

حى : ومن ذا زجهم فيها ؟

عصرفت : أمير

علينا لا يرد له قضاء

بى فهو عدل حيب يقضى وملك فهو يفعل ما شاء !

عاصم : قدس يا قوم مكمو لبس قيس من الشر

حى : قيس منا وإعما فى بنى عامرٍ ظهر

آخر : إننى قد رأيتُه يتفلّى على الشجر

ثالث : وسَمِعْنَاهُ قَدْ عَوَى عَوَّةَ الْجَنِّ وَاسْتَتَرَ

رابع : أَنَا أَيْضًا رَأَيْتُهُ رَكِبَ الظَّبْيَ فِي السَّفَرِ

عاصف - متطلعا : تَعَالَوْا فَانْظُرُوا

« بَتَطْلُعُ الْجَمِيعُ إِلَى حَيْثُ يَطُرُ »

حى : مَاذَا ؟

آخر : عَجِيبٌ

عصفوروت : نَرَى تَبَحُّجًا يُدْحِرُ جُهِ الْمَضَاءِ

أَقْبِسْ دَا ؟

عاصف : نَعَمْ هُوَ فَاسْتَعْدُوا فَقَدْ وَحِبَّ التَّحَفُّزُ وَاللِّقَاءُ

« هَمِيدٌ لَهُمْ آخِرٌ »

نَأْمُلُ قَبْسَا الْمَضْنَى تَحْدَهُ مِنْ الدُّوْبَانِ أَصْحَحَ كَالْحَيَالِ

الآخر : لَعْدُ صُلِّ الطَّرِيقَ أَمَا تَرَاهُ يُصَفِّقُ بِالْيَمِينِ وَبِالسَّمَالِ ؟

وَقَدْ قَلَبَ الثِّيَابَ عَلَيْهِ نَهَجًا عَلَى عَادَاتِهِمْ عِنْدَ الصَّلَالِ

« يَطْمُرُ قَيْسٌ وَيَلْمَعُونَ حَوْلَهُ وَيَسْدُونَ »

سَلَامٌ مُلْكُ الْحَبِّ وَسُلْطَانُ الْمُحْبِينَ

لقد شُرِّفَ وادينا
يُحيِّوْكَ بالورد
الى نادبك من بُعدٍ

وأهلاً وعلى الرحبِ
أتى الحنُّ من الوادى
حدا ركبهم الحـادى

« يتلفت قيس دات اليمين ودات الشمال »

وأىَّ وادٍ أنزلتنى يا ترى
أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
أم عملُ الوهم وتهويلُ الكرى

رَبِّى إلى أين انتهب بى السرى
عسائى فى الشام ، لعلِّى جرتهُ
وهذه المسوخُ حولي حِنَّةٌ
لا ، أنا صاحـ

« تجسس حسمه »

يدى وذاك مقلِّى يقظى ترى
تكون للجمَّة كالناسِ فرى ؟
ظاهرُه أكثر منه ما احتفى

هذه رحلى وذى
ولم لا أومن بالحنِّ وأر
لا أدعى معرفةً بعالمٍ
« تمسح حبيبه ويعد النظر والطلع »

وهذه خيلهمو المسومةُ
وأربُّ مُسرَّجَةٍ ومُلمَّحه
وقنفذ وظبيةٌ وشيْمه

تلك من الجنِّ لعمرى شردمةُ
نعامة كالفرسِ المُطهَّمةُ

يا عجباً كلَّ العجب ! الجنُّ منى عن كُتُبِ
 سودُّ دَقَقُ في العيون كالذَّخَانِ في الحطبِ
 يجرِّحُ من أفواهها ومن عيونها الذهبِ
 من كلِّ مَنْ حال بقرَ بهُ وصال بالذَّبِ
 الجار : دِيَّ الحبِّ لا نخش
 عطفت الطير والوحش
 وسَلَّ حسان والأعشى
 وشـيطانَهُما عنا

الاموى :

تركتُ ورأى الشام لم أنتفع به ولا هو من سوى القديم شفاى
 وعدتُ الى محبِّ أفاى صباى ووحدى كأنى ما تبرَّحت مكابى
 تركتُك ليلي فانحرت ليالبا مؤلفه الأسكالِ حدَّ حسان
 فلم يخلُ سِرِّي منك يوماً ولا السرى

ولم يخلُ من تمثالِكَ القمران
 على كل أرض من هو السوارحُ ملائ سيلي أو ملكن عنانى
 (وأجهشتُ للتوناد حين رأينهُ وكبر للرحم حين رآنى)



« نبي الحب لا تخش أذى أو شره منا »

(صفحة ٨٢)

(وأذريتُ دمعَ العين لما عرَفْتُهُ ونادى بأعلى صوتِهِ فدعاني)
 « يدنو منه فيس وتأمله »

فيس : لنفسه : يا ويح عيني ما ترى ؟ وويحَ اذنى ما تعى !
 وأبن عَقْلِي ؟ عاب عني اليومَ أو عَقْلِي معي ؟
 الشعر لى مُذ قَلْتُهُ من شـقـى لم يُسَمِعْ
 من دا الذى أُوْحَى به لذا العلامِ المُدَّعى ؟
 « يقترب من الشاب ويأخذ فى انتقاده »

عقــــــــالان يمانبــــــــان مِنْ وَشَى وَعِقِيــــــــان
 يُضَيِّئان كَلِجَ الشــــــــمس فى حِلْدَةٍ ثعبان
 وأين الشفقُ الأــــــــحمرُ مِنْ مِطْرَفِكَ القانى ؟
 وقد تقربُ فى الروى عةٍ من أملاك غسان
 وقد تبلُغُ فى الشعــــــــر الى رقةِ حسان
 فما شأنك يا هذا ؟

الاموى : وما يعنيكَ مِنْ شأْنِي ؟

فيس : أرى سارقَ أشعارٍ جريئاً ما له نارٍ

فقد يُسْطَى على بيتٍ وقد يُسْرِقُ بيتانِ
ولا يَنْتَحِلُ الإنسانُ أيـاً تـاً لا إنسان
وما أنشدتَ من شعرٍ فمن صنعى وإحسانى
ولم أهتفْ به بعدُ ولم تسمعه اذنان
فمن أنت ومن أين أنت اذنيك ألحاني؟
الاموى : أنا الملقى عليك الشعر — رَ مِنْ آنٍ الى آن
أنا الهاحس والشيطان

قيس : لا ، لا ، لستَ شيطاني

« ثم يناحى به »

أحل سمعتُ باسمِ شيد — طاني ولكن لم أَرَهْ

أنى وأمى حدثنا نى فى الليالى خبره

« يعود الى خطاب الاموى مترددا »

ألسنَ أنت الاموى؟

الاموى : لا تخف أن تذكره

قيس : ما أنت إلا صورةٌ فى عصبي مُصوَّره

وعبثٌ لو كان عَقْلِي حاضراً لأنكره

« قيس - وهو يسكت الارض بعود »

ويحي أقسُّ واحد أم نحن قيسان هنا ؟

وأين الشاعر هذا الأمويُّ أم أنا ؟

أم الذي بي وبه من عبثِ السحر بنا ؟

أم أنا محنون عَمَلِيَّ حبُّ ليلى قد حنى

الاموى : قيس

قيس : لبيك قيس

الاموى : ما أنا قيس

قيس : من إذن ؟

الاموى : قلتُ إننى شيطانُه

قيس : قيس من آدمٍ فما أنت منه

الاموى : أنا من قيسٍ عامرٍ وجدانه

قيس : أنت وجدانى ؟ استعذتُ بربى منك

الاموى : لا تستعذ به جلَّ شأنه !

هكذا شاء: كلُّ شاعر قومٌ
عبقريّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحاً بوجهه ومطرباً »

يا عجباً أصبحَ بالجنِّ لسانى يعمرُ !

وصرتُ ينهى ماردٌ على فمى ويأمرُ

ما للسانى لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟

يا ليت شعرى كيف لا يخرجُ منه الشرُّ ؟

« الأُموى - واضعاً يده على كتف قيس »

علامَ قيس فيم أنـت مُطرقٌ مفكّرٌ ؟

فى خرى ؟

قيس : أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ

ليس لسانى مارداً إن لسانى بشرُ

الاموى : قل وحدك الشعرَ إذن !

قيس : تطنى لا أقدرُ ؟

الاموى : جرّبْ إذن قلْ أرنا

قيس : وما تُحبُّ ؟

الاموى :

قريةُ الجنِ وهـذا المنظرُ

أليس فيما أنت راءِ قيسُ ما يؤثّرُ ؟

قيس : إسمع إذن يا أموى !

الاموى :

قيس : وحوه تصوّرُ ، وفضاء يزهرُ ، ورمال في مطارح البصر تزخرُ !

وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عبقرُ !

« الاموى صاحكا »

قه قه ! تعالوا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الحس »

قيس في غضب : قه قه . . أمئى تسخرُ ؟

الاموى : ما هكذا ياتساعر الـبيد البيوت تُكسرُ

جى آخر : إنك لا تنظّمُ يا قيس ولكن تنثرُ !

الاموى : مالك قيسُ مُفحماً هذا لعمرى الحسرُ !

لَا يَفْجَمُ الشَّاعِرُ لَكِنْ يُفْجَمُ الشَّوَيْعِرُ
 مَالِكٌ كَالْعُودِ الَّذِي أَدْرَكَ عَنْهُ الْوَتَرُ ؟
 مَا لِقَوَائِي الْآنَسَانِ مِنْكَ قَلْسُ تَنْفُرُ ؟
 كَيْفَ تَرَى لِسَانَكَ إِلَّا آنَ

قيس : عليه حجر !

أَنْتَ عَلَى مَسَاعِرِي وَشَعْرِي الْمَسِيطَرُ !
 إِنْ عَبْتَ عَابَ حَاطِرِي وَإِنْ حَصَرْتَ يَحْصُرُ
 الْآنَ لَا تُنْكِرُنِي قَيْسُ وَكُنْتَ تُدَكِّرُ !
 عَجِبْتَ كَيْفَ مَخْنَى الْحَنِّ وَكَيْفَ تَطْهَرُ
 يَا قَلْسُ هَذَا عَالَمٌ طَيِّبَتُهُ التَّحْبُورُ
 تَطْغَى عَلَى رَائِدِهَا صَحْرًا وَهَذَا وَتَعْمُرُ
 وَغَايَةُ الْمُعْرِفِ فِي نِطَامِهِ التَّحْيِيرُ
 مَهْمَا عَلِمْتَ عَنْهُ فَالِدِ حَيْثُ حَبِلْتَ أَكْثَرُ !

الاموى : عَجِبْتَ كَيْفَ مَخْنَى الْحَنِّ
 يَا قَلْسُ هَذَا عَالَمٌ
 تَطْغَى عَلَى رَائِدِهَا
 وَغَايَةُ الْمُعْرِفِ فِي
 مَهْمَا عَلِمْتَ عَنْهُ فَالِدِ

قيس : يَا أَخَا الْحَنِّ لَنْ
 أَنَا فِي أَعْمَاءِ أَرْضِ
 كُنْتَ أَحَا لِي وَحَلِيلًا
 لَا أَرَى فِيهَا السَّبِيلَا

الاموى : أين تبغى قيس ؟

فيس : ليلي كن الى ليلي الدليلا

الاموى :

ملّ يميناً با أنا المهدى ثم امش قليلا

تحد المزل والماء الذى بشفى العليلا

« نطاق فيس أحداً اسمه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بنى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قبيل - »

« ورد مصطحع على الرمل وبحانه يجلس رفيق من رفائه - يقرب قيس »

فيس : إن قلبى لمحبرى أن هاتيك دارها

أنا بالطائف الذى قرّ فيه قرارها

فى ثقيف تنقلى وثقيف ديارها

ما لساقى جرّتها فتعاني انحرارها

ولقلبي يقول لى قد تدانى مزارها

كيف لا أهتدى ليلي وى القلب نارها

ليت ليلاى نُبِتَتْ أننى اليومَ حارها

« يتين وردا وصاحبه »

عجبُ! هُدِيت الدارَ بعد صلاة
هذى منازلها وذلك بعلمها
هذا عريمى وردُ أشقرَ كاسمه
ما ناله افترش الأديم كأنه

« رقيق ورد »

ورد أرى من المدى القريبِ
على خطاه خَشْةُ المُرِيبِ

ورد :

لعله ابنُ سليل
إنى أراه سـقـيـما
لَمْ لَا تَقُولُ حَيْرَةَ الغريبِ
يـمـرُّ نـالـحـى مـرَّاً
يـحـرُّ سـاقـبـه حـرا

« ينهض من رقدته قلغاً »

الرقيق: عرفتَ مَنْ هو؟

ورد : قدسُ به الغـرامُ أضرّاً

الريمق: قيس؟

ورد: أجل

الريمق: كيف أفضى اليك؟ كيف تجرّ

ورد: دعى وقيساً وشأني لعل في الأمر سرّاً

« بصرف الرجل ويلاقى ورد وقيس »

قيس: أهذا أنت ورد بنى ثقيف؟

ورد: نعم والوردُ يندتُ في رباها

قيس: ولمْ تُسميتَ ورداً لم تُلَفَّ ثِقْلًا العشيّة أو غصاها!

« ورد - في سكون وحلم »

وما صرّ الورود وما عليها؟ إذا المزكوم لم يطعم شذاها

قيس: (بربك هل صممت إليك ليلي قُتيل الصبح أو قبلت فاهاً؟)

(وهل روت عليك قرون ليلي رفيف الأتحوانة في مداها؟)

« ورد - بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

قيس: بل لا بدّ من لا أو نعم

ورد : هبها نعم يا قيس هل
 المرء لا يسأل : هل
 أحل لقد قبلتها
 مع الحلال من ثم ؟
 قبل أهله ؟ وم ؟
 من رأسها الى القدم
 قيس عاضاً :

تلك لعمرى قبلة الحمى
 أو قبلة الذئب إذا الذ
 بلائ وس — قم !
 تبُّ على الشاة جثم
 « يتراجع قليلا وكأنا تحدث نفسه »

قلبي يقول لى : لا ! يا صدقه فيما زعم !
 إذن تعال قيس واسمع فى أناة وكرم
 لا تحعان العصب الجائر ديننا الحكم
 إسمع حديثي إنه ما خط مثله القلم
 وسره لا الأهل يد رون به ولا الخدم
 أنا الذى ظلمت قيس ما أنا الذى ظلم
 أليّة وما على لك يا قيس قسم
 كم مرّت الليلة بى والليلتان لم أنم
 منذ حوت دارى لى ما خلوت من ندَم

فلما رُدِّدْتَ وقيل القصائد والعشقُ بينَ الحبَّينِ حالا
 حرجتُ الى حيثُا خاطبا ولم أدخِرْ ذونَ مسعَاىَ مالا
 بينتُ بها قتهيبتهُـــــــــــــــــــــــــــــــــا وأىُّ امرئٍ هابَ قبلى الحلالا
 فسعركَ يا قنسُ أصلُ البلاء لقيتُ به وبليلى الضلالا
 كساها جمالا فعلقتهُا فلما التقينا كساها جلالا
 إذا حشمتُها لأنالَ الحقوقَ مهنى قد استهأ أن أنالا
 أمسِكْ أبا المهدى !

« يسبحيل كلامه الى همس . اد تبدو ليلي على باب الخلاء »

أنظرُ هذه ليلي علينا طلعت من الخلاء
 « ثم يادى بصوت متهدج »
 ليلي تعالى أسرعى قيسُ أتى ليلي هنالك ، مَنْ تحبين هنا
 قيس : أما زحْ باوردُ قل لى أمت أم تسخرُ منى أم تُسى تهزأ بنا ؟
 ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلا
 « قيس - هاما بالدهاب اليها »

إذن فدعها لا تُجسِّمها الخطأ

« ورد - وليلي تقترب »

كَأَنَّهُ وَطْءُ الْغَزَالِ فِي الْحَصَا
لَوْ جَدْتُ رِيحَكَ مِنْ أَقْصَى مَدَى
أَنْتَ، فَلَا يَذْهَبُ لَدُنَّكَ اللَّقَا

إِلْبَثُ أَغْنَى، إِنْ نِي خُرْتُ قُوَى
أَبْ حَبِيبُ الْقَلْبِ، وَالرَّوْجُ أَنَا
نَحْنُ الثَّلَاثَةُ ارْتَطَمْنَا بِالْقَصَا

دَارَبْتُ فِي الْأَرْضِ وَسَاءَ حَالِي؟
مِنَ السَّقَامِ وَمِنَ الْهَزَالِ
أَلْفَى ذِرَاعِيكَ عَلَى خِيَالِ

أَحْلُمُ سَرَى أَمْ نَحْنُ مُنْتَهَبَانِ؟
بَارِضٌ ثَقِيفٍ نَحْنُ مُغْتَرَبَانِ؟

إِسْمَعُ أَنَا الْمَهْدَى هَمْسَ خَطْوِهَا
دَعَوْتُ فَاهْتَمَّتْ وَلَوْلَمْ أَدْعُهَا
قَيْسُ تَتَبَّتْ وَاسْنَعَدَتْ هِيَ ذَى
الْآنَ أَمْضَى لِسَدِيلِي

قيس : بل أَقِمِّ
ورد : قَيْسُ أَرَى الْمَوْقِفَ لَا يَجْمَعُنَا
يَا لِكَلَامِي وَيَا لِي مِنْكُمْ !

« يَنْصَرِفُ وَتَمَلُّ لَيْلِي عَلَى قَيْسٍ »

قيس : لَيْلَايَ ، لَيْلَى الْقَلْبِ

ليلى : قَيْسُ مَالِي
قيس : وَدَاكَ لَيْلَى مَهْجَتِي وَمَالِي
تَعَالَى أَشْكِي لِي النَّوَى تَعَالَى

« تَصَافَحَهُ شَوْقٌ »

ليلى : أَحَقَّ حَبِيبَ الْقَلْبِ أَنْتَ بِجَانِبِي
أَبْعَدُ تَرَابَ الْمَهْدَى مِنْ أَرْضِ عَامِرٍ

قيس : حنانيك ليلى ، ما لخلٍ وِخله من الأرض الا حيث يجتمعان

فكلُّ لادقرَّبتُ منك منزلى وكلُّ مكانٍ أنت فيه مكانى

ليلى : فالى أرى حديثك بالدمع بُللاً أمِنْ فرَح عيناك تنتدران

قيس : فداؤك ليلى الروح من شرِّ حادثٍ

رماك بهـذا السِّمِّ والذَّوَّان

ليلى : ترى إدن مهرولة قيس ؟ حمداً هزلى ومَنْ كان الهزال كسانى

قيس : هو الفكر ليلى ، فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تخنّى

قيس : كفانى ما لقيتُ كفانى

ليلى : أدركت أن السهم يا قيسُ واحدٌ

وأنا كلينا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مذبوحٌ قتيلُ الأبر والأمِّ

طعيفان بسكينٍ من العادة والوهم

لقد زوّحتُ ممّن لم يكن ذوقى ولا طعمى

ومن يكبرُ عن سنّى ومن يصغرُ عن علمى

عَرِيبٌ لَا مِنْ الْحَيِّ وَلَا مِنْ وَلَدِ الْعَمِّ
 وَلَا ثَرَوَةٌ تَرَبَّى عَلَى مَالِ أَبِي الْجَمِّ
 فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي بَيْتٍ عَلَى صِدَّيْنِ مُنْصَمِّ
 هُوَ السَّجْنُ وَقَدْ لَا يَنْطَوِي السَّجْنُ عَلَى ظَمِّ
 هُوَ الْقَرُّ حَوَى مَسْمُومٌ حَارِثِينَ عَلَى الرَّعْمِ
 سَنِيَتَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَمْسُدِ الْعَظْمُ مِنَ الْعَظْمِ
 فَاِنَّ الْقَرَبَ بِالرُّوحِ وَلَسَ الْقَرَبُ بِالْحَسَمِ

قيس :

تَعَالَى نَعِيشُ يَالَيْلٍ فِي طَلِّ قَفَرَةٍ
 تَعَالَى إِلَى وَادٍ خَلْسِيٍّ وَجَدُولٍ
 تَعَالَى إِلَى ذِكْرِي الصَّبَا وَحَنُونِهِ
 فَكَمْ قُبْلَةٌ يَالَيْلٍ فِي مَسْعَاةِ الصَّبَا
 أَخَذْنَا وَأَعْطَيْنَا إِذَا الْبَهْمُ تُرْتَمَى
 وَلَمْ يَكُنْ نَدْرِي يَوْمَ ذَلِكَ مَا الْهُوَى
 مُنَى النَّفْسِ لَيْلَى قَرَّبِي فَالْكُ مِنْ فُيْ
 مِنَ الْبَيْدِ لَمْ تُثْقَلْ بِهَا قَدَمَانِ
 وَرَبَّةٌ عُصْفُورٍ وَأَيْكَةٍ بَانِ
 وَأَحْلَامُ عَيْشٍ مِنْ دَدٍ وَأَمَانِ
 وَقَبْلُ الْهُوَى لَيْسَتْ بِذَاتِ مَعَانِ
 وَإِذَا نَحْنُ خَلْفَ الْبَهْمِ مُسْتَتْرَانِ
 وَلَا مَا يَعُودُ الْقَلْبَ مِنْ خَفْقَانِ
 كَمَا لَفَّ مِنْقَارِيْهُمَا غَرْدَانِ

ولا السَّقَمَ رُوحانا ولا الجسدان
على شفتينِنا حين تلتقيان
مع القلب قلب في الجوامح تان

نَدَقُ قُبْلَةٍ لَا يَعْرِفُ الْبُؤْسَ بَعْدَهَا
فَكُلُّ نَعِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَغِبْطَةٍ
وَيَحْقُقُ صَدْرَانَا خَفُوقًا كَأَنَّمَا

« تنمر ليلي »

ليلى : وكيف ؟

قيس : ولم لا ؟

ولا لى بما تدعو اليه يدان

ليلى : لستَ يا قيسُ فاعلا

قيس : أتَعْصِيْدِي ياليلَ ؟

ولكنَّ صوتاً فى الصمير نهائى

ليلى : لم أعصِ أَمْرِي

لقد ذَهَلَتْ فلمْ تحملْ له شأننا

ووردُ يا قيسُ؟ وردُّ ما حَفَلَتْ بِهِ

« قيس : غاصبا »

تَعْنِينِ رُوحَاتِ ياليلِ

« ليلي : منكسة رأسها »

نعم

قيس : ومتى أحسنتِ ورداً؟ ترى أحسنتهِ الآنَا!

ليلى : فيمَ انفجارك ؟

قيس : من كيدٍ فُجئتُ به

ليلى : إني أراك أنا المهدى غيرانا

وردته هو الزوج ، فاعلم قيسُ أن له حقاً على أوديه وسـ لطانا

قيس : إدف تحاييتما ؟

ليلى : بل أنت تظلمني فما أحب سواك القلبُ إنسانا

ولستُ بارحةً من داره أبداً حتى يسرَّ حنى فضلا وإحسانا

نحن الحرائرُ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ الا إلى الرحمن بلوانا

قيس : بل تذهبين معي !

ليلى : لا ، لا أحونُ له عهداً ، فما حادعن عهدي ولا خانا

قتي كنبيع الصفا لم يختلفَ خلداً ولا تلونَ كالفتيان ألوانا

« قيس : متكمأ »

أراك في حبٍّ وردٍ جدٍّ صادقةٍ وكان حبك لي زوراً وبهتاناً

ليلى : قيس !

« قيس : صارخا »

أتركيني بلادُ الله واسعةً ! غداً أبذلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فمسك به ليلي »

ليلى : العقل يا قيس !

قيس : لا خلى الرداء دعى

« ثم هلت منها ويدفع الى سبيله »

« تاركا اياها باكية في هيئة استعطاف »

ليلى : وارحمته لقيسٍ عاد ما كانا !

واهاً لقيسٍ وآه ما صنعنا ؟ أكثرَ قيسٌ بلواى والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

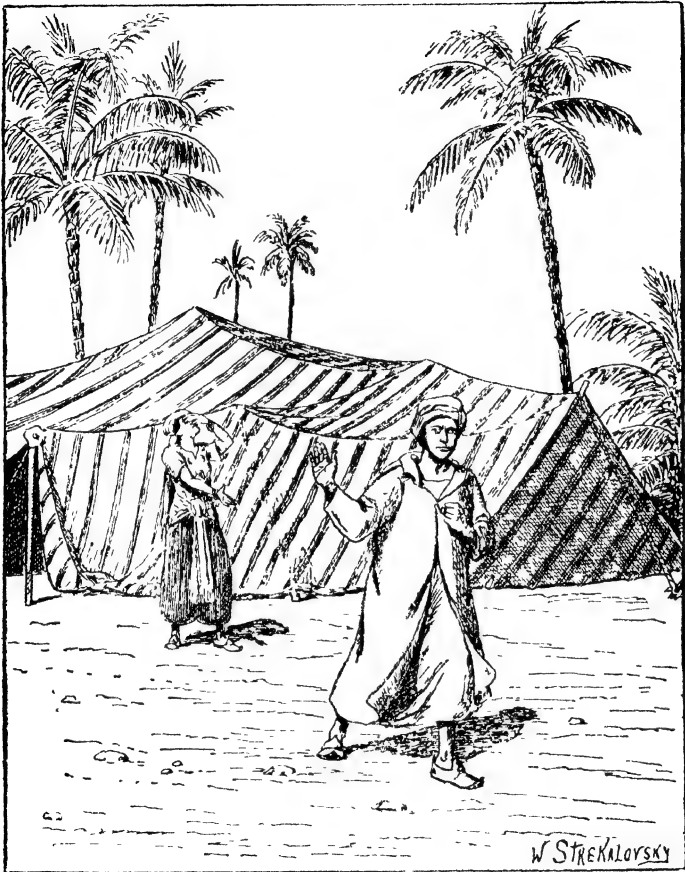
عفراء : لبتك سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا

ليلى : لقد سمعت الحديث كيف إذن صبرى على ماجرى وما وقعنا ؟

قلتُ لقيسٍ مقالَ مشفقةٍ لم يُلَقِ بالآ له ولا سِمعاً

وقيسُ ذو جنةٍ وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا

تخير الناسُ فى جنون فتى لا عقلَ الا بشعره لعا



«..... اتركيني بلاد الله واسعة غداً أبذل أجاباً وأوطاناً»

(صفحة ١٠١)

والله لو حاء في محاسنة يسألُ وردَ الطلاقَ ما منعنا
فورْدُ يا عفر لا كِفَاء له مروةً في الرجال أو ورعا
آه من السقم

عفراء : أَلَفَ عَافِيَةً

إلى : آه من الحادثات

عفراء : أَلَفَ لَعَامًا

إلى : أنا عُدْرِيَّةُ الهوى أحملُ العباءَ وإن ناء بالصباغة جهدى

المحبَّاب ما بكيْن كدمعى فى اللبالي ولا أرقن كسهدى

ويح قيس ويح كلى أى نارٍ للمقادير عند قيسٍ وعندى

أُتعب الحى داه قيسٍ ودائى وتعاين الدواء كُهان نَجِد

لا الخواممُ تصرفُ الجنَّ عنا

حين تُتلى ولا رُقَى السحر تُجدى

أَبْقَيْسٍ وبى هوى عبقريُّ يَسْلُبُ العقلَ من ذويه ويُرْدَى

عِلَّةُ اليد من قديمٍ وداه ضاعَ فيه الرُقَى وحرار المُفَدَّى

ما سلا حاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاءٍ بعهد

لم تُعَذِّبْ بالحب عذراه قبلى كعداى ولن تعذَّبَ بعدى

عفراء: هي عذراء ؟ ربّي اشهدْ

ليلي : أجلْ عذراء حتى يصمّني ركنُ لحدّي

عفراء: والذي أنتِ تحته ؟

ليلي : تحت بعل غير ذي جَفَوْنٍ ولا مستبد

راعني اللومُ من جميع النواحي فتواريْتُ في مُروءَةٍ ورد

«يقول ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربّ ماذا سمعت؟ ليلي شكورٌ لك نفسي الفداء يا بنت مَهْدِي

ليلي : ورد

ورد : ليلي

ليلي : رُحِمَاكَ وَرُدُّ وَعَفُوا

كنتُ أخفي الجوى فأصغحتُ ا لى

ورد : ما ليلي ؟ ما ذا أثاركَ ليلي ؟ هَدْنِي رَوْعَكَ الْمَفْزَعِ هَدْنِي

ليلي : الداء يا ورد فيّ مجتهد ملتئمٌ هيكلِي وما شِيعَا

أصبحتُ لأشتهي الطعامَ ولا يَحْمَدُ جنبي الى مضطجعَا

قلبي من اليأس حين حلَّ به أَحْسُ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولقد
 كان بما حملَّوه مصطلياً
 المتمنى بالعيش منتفعٌ
 ولن ترى يائساً به انتفاعاً
 القدرُ اليومَ والقضاءُ على
 حرِّك قيسُ وحرِّبِ احتمعا

« ستار »

الفصل الخامس

« مقابر على سهج جبل التوند في طريق عام على مقبره من حى بنى »
 « عامر يندو من بينها قبر حديد ما زال أشخاص من الحى يهيلون »
 « عليه التراب ويصعون الأحجار ، ومن حوله كثير من رجال الحى »
 « وقتيانه وصعاره يرى بينهم المهدى وورد وكلهم ناك أو حرين — »
 « يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعرفون المهدى وصاحفوه واحداً »
 « بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

معرف : إنا لله أنا ليلي

آخر : صبراً أبا ليلي حميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »
 « ويسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

المار : قبر من يا صبي ؟

الصبي : قبرها يا أبى

المار : امرأة ؟

الصبي : نعم

المار : ومن تكون ؟

« الصبي مشيرا الى المهدي »

بنتُ ذا الرجل

أَلَسْتَ مِنْ نَجْدٍ ؟

ليلي ابنةُ المهدي

وما جفَّ لها لَحْدُ

صبي آخر : أَجَلٌ قَدْ دُفِنَتْ لَيْلِي

ودا صاحبها وردُ

ودا الشيخ أبو ليلي

هنا الوالدُ والزوجُ

وقيس ؟

المار :

لم يحىءُ بعد

الصبي :

« يقترب الرجل من المهدي ويعبره »

مَهْدِيٍّ أَحْمَلُ حَزْعَا

المار :

يَا أَنَا لَيْلِي جَالَلَتْ

معر :

عَزَاءُ أَبَا لَيْلِي — لِي

آخر :

عَرَاءُ أَنَا لَيْلِي

آخر :

صِرُّهُ أَبَا لَيْلِي حَمِيلٍ

آخر :

« صديق من أصدقاء ورد هاما اليه »

وما للناس إحسان

لقد أحسنتَ يا وردُ

يُعْزُونَ أَبَا لَيْسَى وما عزّاك إنسان
 بل انظرُ ترَهم أقسى عليك اليوم ما كانوا
 على الأوجه بغصاءه وفي الأعين عدوان
 مهلاً أخى وانظرُ إلى الناس بعين مُنْصِفٍ ورد :

هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفى
 طنُّ الجماعات في سواده ورأيهم في ما أصابا
 يرون أنى عدو قيسٍ أخذت ليلي منه اغتصابا
 وزدت نفسيهما شقاءً وزدت قلبيهما عذابا
 ليسأل الناس قبر ليلي فان في قبرها الجوابا

« بلغت إلى المهدي بعد أن يعزّه آخر معز »

تَجَمَّلَ أَبُو لَيْسَى

« المهدي — مصالفاً إياه »

تَجَمَّلَتْ طاقتي ولستُ بخوارٍ قليل التجلّدِ
 تَجَمَّلْتُ فُضُولَ النَّاسِ يَا وَرْدُ حِقْبَةٍ إذا قت من باغٍ عثرتُ بمُعْتَدِ
 يعيشون في عرضي فمن كل معولٍ ومن كل مقرّاضٍ ومن كل مبرّدِ

وهذا يحينني ويقطعُ فروتي وهذا يفدني ويهدمُ سؤددي
ويا ورد لولم تُرُخ سترأعلى ابنتي لظلت بعرض في البوادي مبدد
حفظت ابنتي حفظ الشقيق ومرّضت

ببيتك تمرّض الصغير المهدد
وصيرت ليلى في حماك وخدرها كعذراءٍ ديرٍ أو كدُمّية معبد
لقد صنتها يا وردُ فاذهب فما أنا بناس لك المعروف أوجاحد اليد
وليلي فتاة حُرّة بنت حُرّة أحبّت غلاماً سيّداً وابن سيّد
وأعلمُ أني كنتُ حربَ هواها وكنتُ مع الواشي وعونَ المفدّد
« بلغت إلى القبر باكياً »

بظل الله يا ليلي

ورد :

وهذا نجدُ يا ليلي فنامي في ثرى نجدٍ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »

« العريض المغني والشاعر ابن سعبد وأميّه وسعد »

الفريض : دنا الحى يا بن سعيد وثمّ -

وما ثمّ ؟

ابن سعيد :

الفريض : أنظر يُجَبِّك النظرُ

ابن سعيد : قبورٌ؟

الفريض :

أجل عارضتنا القـدور وعمّا قليل يُجِيرُ الحُفَرُ

ابن سعيد :

وهل نحن إلا على حُفَرَةٍ هي الأرضُ أو هي قبر الدُشُر

مُحَجَّبَةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتَضِر

غريضُ: بصُرتُ بقبرٍ حديد

الفريض : وماذا سوى الموتِ في ذا العَقَرِ؟

ابن سعيد :

أخُ كان يملأُ أَمْسَ الهواءِ ويحيا الحياةَ ويمجى العُمُرُ

نزِيلٌ لعمري غريبُ الغِطاءِ غريبُ الوِطَاءِ غريبُ الحُجَرِ

لدى منزلٍ كميوتِ الكِرَاءِ مراراً حلاً ومراراً عَمَرُ

يُزارُ كثيراً فدون الكثيرِ فِعْباً فينسى كأن لم يُزَرَ

وليس بنافعه الواصلون وليس بصائرهِ من هَجَرِ

فياميتُ أَمْسَ عِدَّتِكَ الرياحُ وحيّاكَ في الفتراتِ المطرُ

مُطِيفَ الحِيَالِ قَرِيبَ الصُّورِ
 وَأَدْرَكَ فَيْكَ النَّهَارُ الْوَطَا
 قَهَرْتَ الْقِصَاءَ وَدَبَّتِ الْقَدَرُ
 وَأَيْنَ السَّرُورُ وَأَيْنَ الْأَشْرُ
 وَأَيْنَ سَنَا لَيْلِهِ الْمَزْدَهَرِ
 ضَحُوكُ الْعَشِيَّاتِ طَلَقُ الْبُكْرِ
 مُبِينٍ وَمِنْ كَاشِحٍ مُسْتَتِرٍ
 كَنَحْلٍ يَحْمُنُ وَأَنْتَ الرَّهْرَ
 كَثِيرُونَ عِنْدَ رَجَاءِ الثَّمَرِ
 فَلَمْ يَحْزَ إِلَّا بِصَابِ الْإِبرِ
 وَمِمَّ لَيْلَةً مَا لَمَّا مِنْ سَحَرِ
 وَقُلْ لِلْعَدُوِّ دَفْنًا خَلْبَرِ
 فَإِنَّ رَكَابَهُمَا مُنْتَظَرِ

وَأَمْسٍ كَعَادٍ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ
 لَقَدْ نَفَضَ اللَّيْلُ مِنْكَ الْيَدَيْنِ
 وَأَمْسَيْتَ تَحْتَ لَوَاءِ التَّرَابِ
 تَلَفَّتْ وَرَاءَكَ أَيْنَ الْغُرُورُ
 وَأَيْنَ مَعَالِمُ عُرْسِ الْحَيَاةِ
 وَأَيْنَ شَبَابُ كَحْلَمِ الْعُرُوسِ
 وَأَيْنَ الْعِدَاوَاتُ مِنْ سَافِرِ
 وَأَيْنَ الْمَوَدَّاتُ مِنْ صُحْبَةِ
 قَلِيلُونَ عِنْدَ امْتِنَاعِ الْقِطَافِ
 وَكَمْ مَنْ سَقَمَتْ بِشَهْدِ الْوَدَادِ
 وَدُقْ سِنَةٌ لَا كَكَلِّ السَّنَاتِ
 وَقُلْ لِلصَّدِيقِ طَوِينَا الْحَدِيثِ
 وَهَيَّءْ مَكَانَيْهِمَا فِي التَّرَابِ
 سَعْدُ : أُمِيَّةُ مَاذَا تَرَى فِي الْغَرِيضِ؟

وَمَاذَا أَرَى فِي أَمِيرِ الطَّرَبِ؟

أُمِيَّةُ :

سعد : لقد علم الناسُ أن الغريضَ
ولكن ...
مُعْنَى الْحِجَازِ وشادى العربُ

أمية : وماذا وراء « ولكن ؟ »
سعد : أحمى أخفض الصوتَ لَيْسَمَعَنَّ
وأذنُ المغنى تُحَسُّ النسيمَ
فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيبَ
فيغضبَ فهو قريبُ العصبِ

وأذنُ المغنى تُحَسُّ النسيمَ
وتسمعُ في الكأسِ جرسَ الحبيبِ
أمية : إني أحافُ الغريضَ
وإن التَّطَيُّرَ بى قد ذهب
أمية : وأين ترى الشؤمَ حولَ الغريضِ

وكيف ؟

سعد :
رُويدكُ تدرِ السببَ
فلورامِ دمعِ العروسِ انسك
وعلَّنه الندبَ حتى ندبُ
ويذكرى ما تَمَّ أهلُ الحسبِ
وأىَّ بلاءٍ علينا جلبُ
بناحيتهما الأسى والطربُ
أليس الغريضُ يهيجُ البكاءَ
ترعرعُ فى بيئةِ النائماتِ
ينوحُ بيثربَ آلِ الرسولِ
أمية : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ
وما هو إلا مُعْنَى الحياةِ

سعد : ولـكـنـنا قاصـدو عامـرٍ
ونسأل عن عاشقٍ في الديارِ
ومن زار بالنائحات المريضَ
لنقضى حقاً لقيسٍ وجب
طويلِ البلاءِ ثـقـيلِ الوـصـبِ
وأهلَ المريضِ أضاع الأدبَ
« يهباً الغريض للعناء »

هو ذا هاج شجوه
هو ذا بُرسلُ النغمِ
هاتفٌ من نواحيه
رنّ في القاعِ والأكمِ
هو في كلِّ خاطِرٍ
وفؤادٍ صدى الألمِ
« أنشودة العريض »

وادي الموت سلامُ
وسقى القاعَ الغمامُ
السماءَ القدسُ محرابكُ
والأرضُ الحرامُ
أنتَ في الصمتِ مُبينٌ
ومن الصمتِ كلامُ
لم يمتْ أهلكَ لكن
غشى الليلُ فناموا
غُيِّبَ لم ندر ما
صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الانشودة ثم يدخل من الحانب الآخر على أثر »
« اختفائهم ، قيس وزيد »

قيس : جيلَ التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الحيا
 فيكَ نَاغِينَا الهوى في مهده
 وحدَوْنَا الشمسَ في مَغْرِبِهَا
 وعلى سَفْحِكَ عَشْنَا زَمْنَا
 هذه الرِّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا
 كم بَنِينَا من حَصَاهَا أَرْبُعًا
 وخطَطْنَا في ثَقَا الرَّمْلِ فلم
 لَمْ تَزَلْ لَيْلَى بِعَيْنِي طِفْلَةً
 مَا لِأَحْجَارِكَ صُمًّا كَلَمَّا
 كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا
 قَدْ يَهُونُ العُمُرُ الْإِسَاعَةُ
 وسقى اللهُ صَبَانَا ورعى
 ورضعناه فَكُنْتَ المُرْضِعَا
 وبَكَرْنَا فُسْبِقْنَا المَطْلَعَا
 ورعينا غَنَمَ الأهلِ معَا
 لشبَابِينَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا
 وَانْتَيْنَا فَمَحَوْنَا الأَرْبُعَا
 تَحْفَظُ الرِّيحُ وَلَا الرَّمْلُ وَعَى
 لَمْ تَزِدْ عَن أَمْسٍ إِلَّا إصْبَعَا
 هَاجَبِي الشَّوْقُ أَبْتُ أَنْ تَسْمَعَا
 فَأَبْتُ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا
 وَتَهُونُ الأَرْضُ الْإِسَاعَةُ

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

بشر : عزاء قيس !

قيس : مَنْ ؟ بَشْرُ ؟

أجل

بشر :

فيمَن تُعزِّيْنِي ؟

قيس :

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإنَّ آخرَ تكفيني

« يضطرب بشر وقد أدرك حهل قيس »
« وخرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

بشر : يجهلُ قيسٌ موتَهَا ولم أخلُ أن يجهلَهُ

ويُح له وويُح لي ! ماذا عسى أقولُ له

إن الحبيبَ بعِثَهُ الى الحبِّ مُعضِلُهُ

إني أخاف إن أنا خبرتُهُ أن أقتلَهُ

قيس : بشر

بشر : لبيك قيسُ

قيس : من أين يا بشرُ ؟

بشر : من الحى

قيس : ما حوادثُ عامرٍ ؟

كيف أمى يا بشرُ ؟

بشر : برَّحها الشوق

قيس : وأهلى . .

بشر : حنينهم متكاثر

قيس : ولداتي من فتيةٍ وعذاري ؟

بشر :

كلهم شيقٌ لعهدك ذاكر

قيس : كيف بيتٌ لنا بدرجةِ الريح

ونادٍ على النجوم وسامر ؟

والنخيلاتُ كيف خلقتُها بشر

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :

ومِهارى التى تركتُ صِعاراً ؟

بشر :

كبرت قيسُ فهى جُرْدُضوامر

قيس :

عزتُ البيدُ ، تُنبتُ السابقُ الفدَّ وتأتى بهارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

بشر : قيس !

قيس : بشر !

أنت فى نفسك الخفيةِ نائر

تُشْبِهُ الحزنَ والبكى نَبْرَاتُ
لك كانت كضاحكات المراهر
« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربّ ماذا أُجيب ؟ لا شيء يا قيس . .

قيس : بل الحزنُ في مُحِيّاك طاهر
ولقد راعنى لك اليوم جدُّ
من خليع العذار بالأمس سادر
« تعرورق عينا بشر بالدموع »

ما جرى؟ ما الذى أثاركَ يا بنَ العم؟
ما هذه الدموعُ البوادر؟
بشر : قيس لا شيء

قيس : بل كُتِمَتَ جليلاً
هذه وَحْمَةُ النِّعَى المحاذر !

بشر : قيس . .

قيس : لا تَجِمُّ ولا تُخَفِ شَيْئاً
أنا يا بشرُ بالفجعيةِ شاعر
خُلِجْتُ قبلَ نلتقى عيني اليسرى
ورِيعَ الفؤادِ روعةَ طائر
بشر : أعفني! أعفني! بربك ماأنت
على ما أقوله لك قادر !
قيس : أُماتت ؟

نشر : أحل قضتْ أمس . .

« قيس وهو — يعمر عليه »

واليلاه !

نشر : لله — ما أتمدَّ المقادر !

« يتضى نشر في سديله »

« زياد — مقترنا من قيس »

هو مغمى عليه ربّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربّ آخر؟

« يصحو قيس »

زياد : تباركت يا ربّ قيس أفاق؟ صحتْ عينُ وصحا المسمعُ !

رحعتْ لنا قيس

قيس : هيهات هيهات ! من كان في الرّوع لا يرجع

لقد بقيتْ خفّةٌ في السراج سيلفظها ثم لا يسطع

زيادُ غداً يلتقي الموجهون وموعِدنا ذلك البلقع !

« يشير الى المقابر »

عرفتُ القبورَ بعرف الرياح ودلّ على نفسه المؤرّعُ

كشكلى تلمسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تدفع

هداها خيالُ ابنها فاهتدت وليلى الحيالُ الذى اتَّعَ
لنا اللهُ يا قلب ! ليلاك لا نحيبُ وليلاى لا تسمع !
فُجِعنا ليلى ولم نك نحسبُ يا قلبُ أنا هما نفجع

« نقترب الى القمر ناكياً ويكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أعْيى هذا مكانُ البكاء وهذا مسيلك يا أدمع !
هنا حسمُ لبلى هنا رسمها هنا رَمَقى فى الثرى المودع
هنا فمُ لبلى الزَّكَّى الصحو كُ يكاد وراء البلى يلمعُ
هنا سحرُ جفنٍ عفاه الترابُ وكان الرُّقى فيه لا تنفع
هنا من سنانى كتاب طواه وليس بناشره البلمع
هنا الحادثاتُ ، هنا الأملُ الحـ لو يا ليلَ ، والألمُ الممتع
طريدَ المقادير هل من يُجيرُ لك منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
تَزِلُ الحياةُ سلطانها وللموت سلطانها يخضعُ
طريدَ الحياة ألا تستفرُّ ألا تستريحُ ، ألا تهجع ؟
بلى قد بلغت الى مفرعٍ وهذا الترابُ هو المفزع

« يظهر الاموى شيطانه من بعيد ويباديه »



« أعني هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع »

(صفحة ١١٩)

الاموى : قيسُ

نادى الشريدَ المطرَحَ

قيس : مَنْ الهَاتِفُ من

حُبَّ ليلي واقترَحَ

الاموى : أنا الذى أَوْحَى اليكَ

حُ أنت أم أنت شَبَحَ

قيس : إِذْهَبْ وإِنْ لم أَذِرْ رُو

وَأَيُّ شَيْطَانٍ صَلَحَ

إِذْهَبْ فَلَسْتَ صَالِحًا

وَكُنْتَ شَرًّا مِنْ نَصَحَ

كُنْتَ قَرِينَ السَّوْءِ لِي

خَدَشَ ليلي وَحَرَحَ

لَوْلَاكَ مَا بُحْتُ بِمَا

زَيْتٌ عَلَى الثَّوبِ سَرَحَ

كَأَنَّهُ فِي عَرَضِهَا

الاموى : أَفْقُ قَيْسُ

وَمَنْ بِالْخِيَالِ لِمَنْ لَمْ يَنْمَ

قيس : سِرُّ خَلَّيَ يَاحْيَالِ

الاموى :

وَلَا تَسْكُبَنَّ دُمُوعَ النَّدَمِ

حَنَانِيكَ قَيْسُ أَقِلَّ الْعَتَابَ

وَأَنْبَغُ مَا فِي الْحَيَاةِ الْأَلَمِ

تَفَرَّدْتَ بِالْأَلَمِ الْعَبْقَرَى

وَأَنْتَ مَعَ النِّجْمِ فَوْقَ الثُّهَمِ

مُرِيْبُكَ يَا قَيْسُ فَوْقَ التَّرَابِ

وَلَيْسَ الْخُلُودُ سَبِيلَ الْأَمَمِ

أَخَذْتَ سَبِيلَكَ نَحْوَ الْخُلُودِ

وَخَلَّ التَّقَالِيدَ وَأَنْسَ الْحُرْمَ

قُمْ اهْتَفِ بِلِيلِي وَشَدِّبْ بِهَا

وَطِرَ فِي الْهَوَاءِ طَلِيقَ الْجَنَاحِ وَسِرَ فِي الْأَدِيمِ طَلِيقَ الْقَدَمِ
 فَلَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ خَلَوْ كَمَا كَتَرَ الْوُفُودَ حَمَامَ الْحَرَمِ
 قُمْ أَبْسُطْ جَنَاحَكَ فَوْقَ الْقِفَارِ وَطِرَ فِي الْوَهَادِ، وَقَعَ فِي الْأَكَمِ
 وَاتَرَعَ مِنْ الْوَتْرِ الْعَبْقَرَى سَمَاءَ الْقُصُورِ وَأَرْضَ الْحِمَمِ
 وَالْفُ عَلَى الْحُبِّ سَقَى الْقُلُوبِ وَأَرْسَلَ بِسَرِّ الْجَمَالِ النِّعَمِ
 تَغَنَّ بَلِيلَى وَنَحَّ بِالْغَرَامِ وَبَثَّ الصَّبَابَةَ وَاشْكُ السَّقَمِ
 فَلَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ حَتَّى يَذِيعَ وَلَا خَيْرَ فِي الرَّهْرِ حَتَّى يَنِمَ

قيس : أقوم ؟ هات قدما

أقول ؟ أعطى فما

أما تراني هيكلاً محطماً مُهدّماً !

« يحفى الشيطان ويستمر قيس »

يَا رَبَّ قَيْسٍ هَلْ نَعِيتُ وَهَلْ جَرْتُ كَأْسٌ تَدْوُرُ عَلَى النُّفُوسِ مَشَاغُ
 أَوَّلَا فَمَا بَالِي أَنْوِي بِهِيْكَلَ لِمَوْتٍ فِيهِ وَلِلْحَيَاةِ صِرَاعُ ؟
 الْيَوْمَ آذَنَّا الْقَصَاءَ بِحُكْمِهِ مَالِي وَلَا لَكَ يَا حَيَاةُ دِفَاعُ
 رَاجَعْتُ فِي الْمَوْتِ الْحَيَاةَ وَعَادَنِي فِي النَّرْعِ يَا لَيْلَى إِلَيْكَ نِزَاعُ

كيف الوداع من الحياة ولم يتح
 لى منك يالى الغداة وداع
 هيات لم تعدم شذاك قرارة
 حولى ولم يعدم سنالك يفاع
 وعلى سماء البيد منك بشاشة
 وعلى رمال البيد منك شعاع
 وكان كل ضبابه دون الضحى
 قسمات وجهك دونهن قناع

« يمر به ظي سارح فيتامله قليلا ويناحيه »

ياظي بك من افتدالك بماله
 إذ أنت عان تُشترى وتباع
 وأباح طفلك ماءه وطعامه
 اذهن عطشى بالفلاة جيع
 ياقاع كن نعشى وكن كفنى وكن
 قبرى وقم فى مائى ياقاع
 واجمع لتشيعى الأطباء، ومن رأى
 ميتاً بأسراب الأطباء يشاع
 أترى أموت كما حيت مُشرّداً
 لا الأهل من حولى ولا الأتباع
 وأبيت وحدى لا الوحوش أو انس
 حولى هناك ولا الأطباء رتاع ؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »

« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

زياد : قيسُ لا بأسَ عليكُ أنا ذا بين يديكُ

قيس :

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى قد حضر الذى يخطُ لحدى

وَيُرْشِدُ الْحَيَّ إِلَى بَعْدِي زِيَادُ أَنْتَ الْمُسْفَقُ الْمَفْدَى
 لَمْ أَفْرِدْ إِلَّا رُؤْيْتَ عِنْدِي

« يتين شح ابن ذريح »

زِيَادُ مَا دَاكَ مِنْ ذَا يَسْكِي وَرَاءَ الضَّرِيحِ
 إِنِّي أَعَارُ عَلَى الْقَبْرِ مِنْ عَرِيبِ الْجُرُوحِ
 زِيَادُ : لَا تَحْشَ يَا قَيْسُ مِنْهُ فَانْهُ أَنْ ذَرِيحِ
 ابْنُ ذَرِيحٍ :

يَا لَيْلَ قَبْرُكَ رَبْوَةُ الْحُلْدِ فَحَ النَّعِيمُ بِهَا ثَرَى نَجْدِ
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَرَى مَلَكًا يَتَنَفَّسُونَ تَنَفَّسَ الْوَرْدِ
 لِسُوءِ الْجُمَانِ الرَّطْبُ أَجْنَحَةٌ وَتَنَاثَرُوا كَتَنَاثَرِ الْعِقْدِ
 وَتَقَابَلُوا فَعَلَى تَحِيَّتِهِمْ مِسْكُ السَّلَامِ وَعَنْبَرُ الرَّدِ
 وَكَأَنَّ نَجْوَاهُمْ وَسُبْحَتِهِمْ صَوْبُ الْغَمَامَةِ أَوْ صَدَى الرَّدِ
 نَفَحَاتُ طَيْبٍ هَهُنَا وَهَنَا مَا لِلرِّيَاضِ مَهْنٍ مِنْ عَهْدِ
 يَا قَيْسُ صَبْرًا هَهُنَا مَلَكٌ ذَبْحُ الصَّبَابَةِ مُشْهَدُ الْوَجْدِ
 أَصْحُ اتَّبِعْ وَاطْرَحْ بَعِينِكَ فِي بَهَجِ السَّمَاءِ وَحُسْنِ مَا تَبْدَى
 قَيْسُ : أَيْنَ السَّمَاءِ وَأَيْنَ مُحْتَضَرُّهُ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِاللَّحْدِ



في كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد
(صفحة ١٢٤)

السَّهْدُ عَذَّبَنِي وَذِي سِنَّةٍ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُبَشِّرُنِي
لَوْ أَنَّ لَيْلِي فِي النِّعَمِ مَعِي
لَيْلِي النِّعَمُ وَقَدْ ظَفِرَتْ بِهَا
إِنِّي أَحَبُّ وَإِنْ شَقِيتُ بِهِ
أَجِدُ الشِّفَاءَ مِنْ السَّهْدِ
بِالْخُلْدِ مَا أَنَا دَاخِلٌ وَحْدِي
أَوْ فِي الْجَحِيمِ تَسَاوِيَا عِنْدِي
فَالْيَوْمَ نَزَقْتُ فِي ثَرَى نَجْدِ
وَطْنِي وَأَوْثِرُهُ عَلَى الْخُلْدِ

« يسمع صوتنا ضئيلاً كما أنما هو خارج من القبر »

الصوت : قيس

قيس : مَنْ الصوتُ وَيَحْيَى أَبْنَى سِحْرُ

الصوت : قيس

قيس : زِيَادُ اسْمَعُ وَأَصْعِ يَا بَشْرُ

الصوت : قيس

قيس : سَمِعْتُ اسْمِي يَلْفِظُهُ الْقَبْرُ

الصوت : قيس

قيس : تَنَادَيْتَنِي مِنْ قَبْرِهَا بِاسْمِي

لَبَّيْكَ يَا لَيْلَى بِالرُّوحِ وَالْجَسَمِ

« يدخل في دور الاحتضار الأخير »

هل أسي الموت حراحينا وهل قرّب الدار وهل لم الشتات؟
 أصوات: قيس ، ليلي
 قيس : رنة في أذني
 نحن في الدنيا وإن لم ترنا ردّدت قيسَ ولبلى الفلوات
 لم تمت ليلي ولا المحنور مات

« ستار الختام »

نظرات محبيلية

تمهيد

اختلف الرواة في مجنون بنى عامر ، فى اسمه وفى شخصه ، وفى حياته وموته ، وفى قصة هواه أهى موضوعة . لها بها قوم وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ، ومهما يكن فقد أصبحت قصة المجنون فصلا خالدا فى تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى مثل للغرام البدوى القوى العفيف وهذا ما يعيننا حيال هذه الرواية الجديدة

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسما واحدا من بين الأسماء الكثيرة التى اختلف فيها الرواة ، هو « قيس بن الملوّح » ثم كنى عنه فى بضعة مواضع بأبى المهدي ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها

المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق : أن قيسا وليلي نشأ في بيتين من أشرف بيوت بى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوادا ، فاستحالت مودتهما غراما مع الأيام . ثم شتّب بها قيس فى شعره فحيل بينهما وبينه نزولا على ماسوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى عيره ، فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون أو تكاد فاما شرف بيتيهما فتراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون فى غير موضع واحد إنه « سيد من عامر وابن سادات » وحيث يتحدثون عن ليلي فيقولون عنها « عقيلة الحمى » وينادون أباه « ياسيد الحمى » وأما مودتهما طفلين فاليك عليها شاهدين من عدة سواهد تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة ياليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان »
« أخذنا وأعطينا اذالبهم ترتعى وإذ نحن خلف البهم مستتران »

« هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً »
« كم بنيان من حصاها أربعاً واثنين فمحونا الأربعا »

« وخططنا في ثقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »
 « لم تزل ليلي بعبي طفلة لم تزد عن أمس الا إصبعا »
 وأما هواهما ، وكيف جبل بينهما ، فأظرنا قليلا نقص عليك
 بآه في شىء من التعميم والأطنان

لمحة سياسية

كان الحسين بن على كعبة القلوب والأبصار في جزيرة العرب ،
 بعد أن قتل أبوه على ، ومات أخوه الحسن ، وانهت خلافة الاسلام
 الى معاوية بن أبى سفيان
 أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى
 العرب الى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد فى دمشق تاركا
 مكة وما يليها تحت ولايه مروان بن الحكم فى هذا العصر عاش الجنون
 فى بادية نجد أو قيل إنه عاش

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يتسم للزمن
 الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين
 الذى هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلاً منه يقينه وإيمانه ، تعرض له

الدنيا التي أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بنى أمية وأحلامهم
فتنقله من حيث كان يراه هذا العربي في مكة ميران العدل وآية
الزهد والورع ، الى حيث قدر له هذا العربي أن يكون في دمشق
ملكاً دينوياً

وكذلك ظل الحسين قائماً في نفوس الناس هناك صورة مقدسة
لبداوة الاسلام ، تستمد أنصر ألوانها من صلته القريية بجده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وبنوته لرجل كان أشد الناس زهداً واستغفاراً
لذنيه ، وكذلك طهرت بلاد العرب وقلوبها بحقق باسم الحسين ، ولسانها
المعلول إما منافق يترضى الحاكم الجديد ، وإما حائف تسنح له الفرصة
فيهتف باسم الحسين في معزل عن العيون والأرصاد

قدّمت ليلي الى أترابها في مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح
على أنه رضيع الحسين ، فادما من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس .
فالت عبلة لجارها بشر :

« أسمع بشر : رضيع الحسين ، فديت الرضيعين والمرضعه . »
« وأنت إذا ما ذكرنا تصاممت »

فانظر كيف يجيها بشر وكأنه أهين :

« لا حاهلا موضعه »

« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »

« أحب الحسين ولكننا لساني عليه وقلبي معه »

« حبست لساني عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين في موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادي يغنى :

« يا نجد »

« سر في ركاب الغمام ليثرب »

« هذا الحسين الأمام ابن النبي »

وإذا عامل من عمال بني أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف

أمير الصدقات في الحجاز ، ينسى في جلالة هذا الموكب نفسه ومكانه

من أمية ، فيجيب زيادا والغصب آخذ منه ، إذ يسأله « من لواء

الموكب ؟ »

« قد بين الحادي فقل أصم أنت أم غبي »

« هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبي »

« هذا سنا جبينه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشد من صاحبه حرصاً على نفسه ومكانه من
أمية ، وإذا هو أكثر منه تقديراً لسلطانهم ؛ وكأنى بك وقد
أستقت على نصيب أن يصيبه غضب مولاه ، لكن الواقع أن مولاه
لا يغضب منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه فى أمره عتب تافه يهمس
به اليه :

« نصيب صه لا تسلك بنا مسالك التهم »

« إحدروا سائيس ابن هند وعيون ابن الحكم »

وكأنه فى هذا العتب الهاء س الرقيق يشارك عامله فى تقديس
الحسين ، بل هو يجهر بهذا الحب جهراً ضمناً إذ يقول لزياد عن
غيوبة المجنون :

« زياد اطر فما أنفك صريع الوجد والذكرى »

« كما مر بنا الركب الحسينى به مرا »

« فلم يشغل له بالاً ولم يوقظ له فكراً »

ثم يعود نصيب فى موقف آخر فيذكر الحسين عائباً ، لكنه

يذكره في هذه المرة بينه وبين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب
ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه في هذه المرة يلعن الزمن
ويلعن الوطيفه إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين في الشفاعة لعاشق ،
إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »

« ويا وطيفة اعزى ويا جرایة ارحلى »

« يبغي ابن عوف أن يكو ن كالحسين ابن على ! »

وهنا تخرج ليلي أو يخیل اليك أنها خارجة عن تلك القاعدة
التي وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ، كما تخرج
عنها في قول ابن ذريح :

« ألا أنى أنا شيعى ولىلى أموية ؟ »

ويخرج معها قيس في هذا البيت ، أو كذلك يخیل اليك :

« ليلي على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا في هذه اللوحة السياسية ،
يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبي لم يكن له أثر كبير في

حياة أولئك العرب البادين ، ولم يظهر في الرواية الا في هذه بضعة مواقف ، ثم غطاه المؤلف بترعة أقوى منه أثرا في حياة قاطن الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلي اذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم نذر لولا الهوى ماهيه »

ويعبر عنها زياد اذ يقول :

« سيطر الحب على دنيا كمو كل شيء ماحلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين في هذه الرواية من عادات العرب تلك السنة التي جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا تسب بها وأعلن هواه والتي يقدمها المؤلف في أكثر من موضع يقول في أحدها « ومن عادة البيد نفض الأكف من العاشقين إذا تسبوا » والتي يعللها لك المؤلف بحشية العار والفصيحة في أكثر من موضع كذلك يقول في أحدها والحديث عن ليلي بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما حدش ليلي وجرخ »

« كأنه في عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع هذه السنة الى شرع جاهلي قديم ، ترى أقوى الشواهد عليه في قوله إن ليلى إذ ضربت بعراهم الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحب »

« وبالجاهلية إعجابها »

ثم ينحدر المؤلف هذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها حصاره الاسلام فتوهن من قوتها ، وترسل في جبروتها نفحة من روح التسامح ، تهمس تارة على سفنى رحل مجهول أن ليلى إذا كان إعجابها بالجاهلية فقد « قل بالسلف المعجب » وتنادى حى ليلى تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه حن بليلى ليس العرام بجرم »

ثم تنغنى تارة أخرى على السنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجد ونجى الطيبات »

« أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين فى عاشق ، وتستشفع

بن عوف في عاشق آخر ، ثم تقوى هذه الروح فتسلط الندم
والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التي « تصون القديم وترعى الرميم
وتعطى التقاليد ما توحب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان »
وطعينة « بسكين من العادة والوهم » وترلها في بيت « هو القبر
حوى ميتين حارين على الرغم » ثم تسلط عليها الداء « يلتهم
هيكلكها » واليأس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة

على أن هذه الروح الجديدة التي دت في عتق هذه التقاليد لم
تزلزل سلطانها جميعاً ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية
لهذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت في مولدها تعمل عملها
لبطىء في سكون

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أحواتها الصغار منها استدفاع
لحذر بنداء الحبيب ، وعلاج الغيبوبة بالتكثير في أذن المعنى عليه ،
وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفي هذه يقول ابن عوف :

« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعى وقومك نار الطرد حين أميل »
ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق ،

ومنها - وتقرر هذه العادة بشيء من التحفظ - إطلاق الحرية للفتاة في اختيار القرين كما يبدو في قول المهدي لفتاته

« هو الحكم يا ليلي ما تحمكين خذي في الخطاب وفي فصله »

فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة التقاليد ، هي التي جعلته يقامر مطمئناً بهذا الإطلاق ، وقد يكون هذا التحفظ لا محل له اذا وضعناه في الميراث مع قول من يقول :

« ويلي ابنة الشيخ مارأيها اما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

في هذه الرواية صور متفرقة من السهل أن نؤلف منها يوماً من أيام البادية بسيط المطاعم في حاه الحياة . . . ماذا يفعل البدوي في يومه هذا وما هو الا ظل مصعر من حياته جميعاً ؟ يأكل من طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » ويسط لك المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط في قول المهدي :

« هو الضيف يا ليلي هاتي الرطب »

وهاتى الشواء وهاتى الحلب «

« وهاتى من الشهد ما يشتهى

ومن سمنة الحى ما يطلب «

ثم يرعى قطعانه يأكل منها ويكتسى من صوفها بما تغزل يدها
ثم يصيد أحياناً لرياضته وأحياناً لطعامه وأحياناً ليدفع عن نفسه

ضراوة الوحوش وفى ذلك تقول لبلى :

« وآناً نحف لصيد الظبا ، وآناً الى الأسد الضارية «

ثم يحب وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين والجن
والسحر وتراها مجتمعة على لسان لبلى إذ تقول :

« لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى «

ثم أحياناً يحرض على شرفه وعرصه ، ويدفع عنهما بالروح بغى
الآثمين ، وخير ما يبدو لك هذا العنصر القوى فى حياة البدوى
عند ما ينادى المهدي رجل من رجال الحى :

« ذد عن عقيلة الحى وامنع حياض الشرف «

« نحن كهفان وليلى بيننا كالمصحف «

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

« أكنت من الدورأوفى القصور ترى هذه القبة الصافية »

« كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غايه »

ثم تستأف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البروع وللحضر القبلة الثانية »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يا ابنة الخال هذا الحرير كثير على الرمة الباليه »

« تأمل ترى البيد يابن ذريح كمقنبرة وحشة خاويه »

« سئمتنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه »

« ومن موقد النار فى موضع ومن حالب الشاة فى ناحيه »

« وراغية من رواء الخيام تجيب من الكلاؤ الثاغيه »

« وأنتم بيثرب أو بالعراق أو الشام فى الغرف العاليه »

« مغنيكمو معبد والغريض وقينتنا الضبع العاويه »

« وقد تأكلون فنون الطهارة ونأكل ما طهت الماشيه »

وشىء واحد فى حياتى هاتين الفتاتين يعزى اليه هذا التناقض
البيت فى الراى والتقدير ، أن ليلى فناة محبة محبوبة ، وأن هنداً ...
ليست هند كما أرادها المؤلف الا قلباً مغلقاً لم تمس قفله يد الساحر !
أولئك قوم من سكان البادية يعيشون فى هذا العالم المنسط ،
بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفق البعيد ، كأنما يعيشون فى
فراغ يمثلون فيه قصة صغيرة موجزة من قصص البشرية الأولى حيث
القلب خلى والمطمع صئيل واللهو ساذج والرزق محدود ، حيث تمر
الحياة كأنها فى بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض نهار وسواد
ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس هند أنها
تعيش فى قبر تتغنى الضاع العاوية فيه !

فى وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوى للهوى ، فاذا
هو اهم الشاغل والفصل الحافل فى حياة البدوى ان لم يكن حياته كلها ،
لقد يمنح الحصرى لهواه ركنا من قلبه الزاخر بهوم الحضارة
وأطاعها ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو

واثق أنه الركن الضيق المنزوى ، وأنه الركن الذى تصيبه فواجع التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئاً وإنما يسلمه هذا الهوى من قلبه كل شيء ، كلما عرف فيه المال ، وما أكثر ما يعز منال الهوى فى البادية ، كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون فهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلي البادية ما تراها ، وهل من عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم مهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »
« ويقبلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق فى عافيه »
وهل من عجب أن يخامر هذا الداء قبساً فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لى الشعر والهوى

وما الببـد الا اليل والشعر والحب »

« ملأت سماء الميد عشقاً وأرضها

وحملت وحدى ذلك العشق يا رب »

دع هذا الهوى فى قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعدنا إلى

البادية . . .

ما طنك بأرض يصخم فيها كل شيء ، يزأر الأسد فيرعد زئيره ،
ويخفق القلب فيقبل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان — كما تعثر لسان
قيس بليلة الغيل — فادا عثرته وصيحة تذلل قبيلة وتملأ بذلها أفواه
الكبار والصغار ؟ . . . ثم أخيراً ما طنك بحب بعيش في هذا
الحيط ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يكون « عذريا » تحار الرق
فيه ، أيسنطيع هذا الحب الا أن يعف ويتصوف حتى تفتح له نافذة
في هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس في الرواية إلا زفرة متصلة تتردد في قلب
مغرم جريح

ولكننا نعرض لقيس من ناحية أخرى ، قد تكون عارضا على
حياته لا يدلله فيه ، وقد تكون في حياته صدى هذا الهوى المجاح ،
نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى خطه من حقيقة
العقل أو حقيقة الجنون

الناس يسمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستنقذونه من هذا

الجنون أحيانا ثم يأخذهم في أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم في هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس في شيء من يقين الواثق بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار الى ذلك ، أنظر الى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدني زياد وأنت ظل لحنون وراوية لهاذي »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل في عقله أو أنتم على قيس الحنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

وتراه في مرة ثالثة حائرا في أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« نشرد مستعظما في الملاد وجن فما ازداد الا نهى »

بل مالى استشير لك خصوم قيس في عقل قيس ، اليك ليلي

نفسها ، إنها في موضع واحد تقرر من عقل قيس ما يقرر الناس ، وتنفي عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذو حنة وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس في جنون فتى لا عقل الا بشعره ولعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عقلى اليوم ثاب »
وفى مرة أخرى يقول :

« عسائم لا يقولون فتى مشترك اللب »

وفى موضع آخر يقول ويحار فى أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلى نداء بليلى رن فى أذى »

« ليلى لعلى مجنون يخيل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

بعد تلك الإشارة نظر المؤلف الى ما يصدر عن قيس من أفعال

وأعمال

فى الفصل الأول أغمى على قيس بين يدى ليلاه مرة ، فى لحظة

تخرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب فى معزل . . . وقبل

هذا الاغماء كان قيس يتحدث لليلى حديث العاشق العاقل ،

فأحس أن عينيه قد عامتا ، وأن ساقيه لا تحملان جسده ، ثم أخذته

الغيبوبة فظل أسيرها لحطات حتى أفاق

« كالنمنن الداوى نحولا وكالمعيب اصفراراً »

فاذا صحا عاد فتحدث الى المهدي حديث العاقل وجادله جدال
 العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وسواس الجنون
 وفي الفصل الثاني أعمى على قيس للمرة الثانية ، في لحظة حرجة
 أخرى ، أخرجتها لوعة الذكرى كما أخرجها عذاب النفس ، كما
 أخرجها بعي الصغار . . . وقبل هذا الاغماء كذلك كان قيس يحدث
 نفسه حديث العاقل ، يقدر الاساءه اليه ، ويقدر شخص المسيء ،
 ويعفو عن هذه الاساءة كما يعفو العاقل العفور الرحيم .

« قيس لا - سامح صغاراً لا يحسون الخطيئة »
 « انهم فيما أتوه بيعاوات بريئة »
 « لقنوها كلمات نزهاة أو بذية »

ثم تأخذه الغيبوبة فينسى ما حوله ، ويطل أسيرها لحظات
 حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث الحب العاقل يسمع اسم
 ليلي على السنة الناس فيمار ويناقش ويحيل اليه عند ما ينتهي رنين
 الصوت في أذنه ، أر هذا الصوت لم يكن إلا هذيان اغماء

« ليلي »

« هل المنادون أهلوها وإحوتها أم المنادون عشاق معاميد »
 « إن يشركوني في ليلي فلارجعت جبال نجد لهم صوتا ولا البيد »
 « أغير ليلاي نادوا أم مها هتفوا فداء ليلي الليالي الخرد الغيد »
 « »

« ليلي لعل مجنون يخيّل لي لالحى نادوا على ليلي ولا نودوا »
 وفى الفصل الثالث يعنى على قيس للمرة الثالثة ، فى لحظة
 أخرى أخرجتها خشية الموت وخشية القتل . . . وقيل هذه العيموبة
 كذلك كان قيس يباحى ليلي وحيّها مناجاة العاقل ويقرر وينفى
 ويناقش فى منطق سليم ، ثم تدركه النوبة ويعوده الاغماء ، وقبيل
 أن يتمكن منه يرى ما لا يراه الناس فى حى ليلي ، يراها هى ولا
 يحقق غيرها وإن كثر لدى حماها السواد ، وما فى حى ليلي سوى
 سيوف مسلولة وأسود مغضبه ، تترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه
 لقداسة التقاليد ، ثم « يتصالح ويصفر به مثل الجرادة » ويكاد
 يهوى إلى الأرض فيتلقاه زياد ، وتأخذه العيموبة المعهودة ولا
 نستطيع أن نتعقبه عند ما يفيق

ثم يكون الفصل الرابع فنرى قيسا على مقربة من دار لعل

وحيا الجديد ، وفي لحظة لا بد أن تكون هي الأخرى كأخواتها
حرجة ، يحرجهما الجهد والتعاسة ووعثاء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب ،
نراه يتصور صوراً لا يمكن أن تخطر في خيال عاقل ، فهو يرى الجن
ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صورة في عصبى مصوره »

« وعبث لو كان عقى حاضراً لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه
فى لىلى مناحزة العاقل ، ويتهم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة
العاقل ، ويفار منه غيره العاقل ، ثم يسلمه غريمه الى ليله ، فاذا
حديثه اليها حديث العاقل كذلك ، واذا نجواه منها فى دائرة المنطق
السليم ، واذا غيرته كذلك وغضبه وكل ما يفعل لا تصدر الا عن
محب عاقل غيور

ثم يكون احتضاره فى الفصل الخامس ، حيث يسمع ما لا يسمع
الناس ويرى ما لا يرى الناس وما يعيننا هذا الاحتضار أن نعقل فيه
أولا يعقل ، فقد يهذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث

تلك الفترات القصار التي كانت تتصع قيس وعقله الى مكان بين بين ،
لا هو من الموت ولا هو من الحياة

أية صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذى
يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس فى أمر قيس ،
وحيرته فى أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة فى هذه الحياة المصطربة
صحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون
العقول والحواس والحركات ، ثم غيبوبة يختلط فيها العقل وتنطلق
الحواس وتنشل الحركات ، ثم كذلك دواليك حتى تنطفئ هذه
الحياه ؟ ؟

لأشئ من صور الصحة ولأشئ من صور الجنون ، يستطيع
أن يغطى هذه الطواهر ، انما الذى يعطيها ويشتملها جميعاً هو المرض
والمرض أنواع .

قيس إذن فى نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له
فى وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وليس ضلاله فى نفسه إلا
جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالاً بهذه

الحياة المضطربة ، فى رأس هذا البدوى الجاهل بضروب العلل والأدواء ، وأى الأسماء فى هذا الرأس أقرب اتصالاً بهذه الحياة من ذلك الاسم القديم المعروف . . . الجنون ؟؟ كما أن صغفه وهزاله كما يبدو لك — أظهر ما يبدو أن — فى قوله عن نفسه :

« أنا الميت يا بشر وإن آخر تكفىي »

ليس هذا الصعف والمهرال المزيج من وقدة العاطمة ورمنة الداء ومن السهل بعد هذا أن تتعقب أخلاق قبس فى الرواية ، إياه وعرفته ، ورفقته وسماخته ، وأثرته وعيرته ، ولست كلها إلا صورة لأحلاق شاعر محب مريض .

لىلى

تتلخص حياة لىلى وحها فى هذه الكلمات :

« أنا بين اثنتين كلتاها النار »

« بين حرصى على قداسة عرصى واحتفاظى بمن أحب وصنى »

فأما أنها كانت تحب قيسا فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول

الرواية تارة بينها وبين قيس ، وتارة أخرى بينها وبين الناس ، وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، وهى وإن ألحت فى التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتحيب فى قيس شفاعة الشافعين حرصاً على حرمة هذه التقاليد

ولقد تخطط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلي ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه فى داره ، وليلى تستنصر له وتستغيث « يرانا الناس ياليلي » فتجيبه « أب أنف الناس من فكرك » كذلك تمدو ليلي كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتحشى من سلطان التقاليد ما كانت دائماً تحشاه :

« هنا لا تقع العين على غيرى ولا غيرك ! »

والى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة فى الرأى وعناداً فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص فى نفسها وتراها حيث يقول عنها قائل :

« أراها وان لم تخط الشباب عجوزا على الرأي لا تغلب. »

وحيث يستغل أبوها في نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف على حسابها ، ويطلق لابنته الحرية أن تتزوج من قيس أو من سواه ، وهو مؤمن كل الايمان بقرارها الأخير . وحيث يستغل زوجها ورد في نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضياً ، ويترك شرفه تحت رحمة هذا الغريم راضياً ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه — ومن دونه هذه القوة — مصون لا يخشى عليه عدوان . وحيث تبرهن ليلي على هذه القوة الكامنة في نفسها برهاناً قوياً في آخر مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافياً ممهد السيل ، ثم تأباه على نفسها ، وتموت عطشى حرصاً على العرض والشرف وكرامة التقاليد .

المهدى

هذا الرجل طريفة أخرى من طرائد التقاليد البدوية في هذه الرواية ، لكن طاعته إياها رريفة لا تعرف العنف ، طاعة تخفف منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس في أمرى وأخشى الناس في أمرك »
« وكم داريت ياليلي وكم مهدت من عذرك »
وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :
« دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل »



مطبعة مصر بركة محمد احمد بنصرته

١٠٢٠٠٠ / ٣١ / ١٩١٦
